

مِهْدَنْ

تَابِعُ الْمَهْدَنْ

تأليف

مصطفى وهبى

مِكْتَبَةُ الْأَمْسَانِ  
المنصورة، أئمَّةُ جَمَاتَةِ الْأَنْذَرِ  
٢٠٢٢٢ : ٥

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ - ١٩٩٧ م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

٣٥٧٨٨٢ : تليفون

## مقدمة

تعتبر الحروب الصليبية علامة من أبرز العلامات وحدثاً من أكبر الحوادث في التاريخ الإسلامي كله، بل لا يبالغ إذا قلنا من أكبر حوادث التاريخ العالمي.

فالذى فكر في الحروب الصليبية «أو الحملات الصليبية» والذى قام بها هو الغرب المسيحي بتحريض وتوجيه من البابوية «السلطة الكبرى في أوروبا في ذلك الوقت»، بغرض الاستيلاء على المقدسات المسيحية في فلسطين وبخاصة مدينة القدس - التي تتعرض اليوم في ظل الاحتلال الإسرائيلي لنفس ما تعرضت له منذ تسعة قرون.

بدأت الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى / أواخر القرن الخامس الهجرى، وإستمرت حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى / أواخر القرن السابع الهجرى. دون أن ندخل في إعتبارنا زمن تصفية الوجود الصليبي «أو فلول الصليبيين» في جزائر البحر المتوسط مثل قبرص ورودس.

وقد جاءت البداية الأولى للتفكير في الحروب الصليبية من جانب أوروبا، متواكبة مع سقوط دولة المسلمين في الأندلس، ومع إستعادة النورمان جزيرة صقلية وغيرها من جزائر البحر المتوسط من أيدي المسلمين، في وقت كانت فيه الدولة العربية الإسلامية الممثلة سواء في الخلافة العباسية في بغداد أو الخلافة الفاطمية في القاهرة، أو سلاجقة الشام وأسيا الصغرى، تشهد ضعفاً لم تشهده من قبل.

كما توأمت تلك البداية مع زيادة سكان الغرب الأوروبي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين زيادة وصلت إلى الضعف مما جعل هناك إحتياجاً إلى أراضي جديدة ذات موارد إقتصادية جديدة يتسعون فيها.

وكانت تلك الظروف مناسبة تماماً ليتهزها بابا الفاتيكان آنذاك «أوربان الثاني» ورجال الدين المسيحي ويدعوا إلى القيام بحرب صليبية «أو مسيحية» شاملة على بلاد المشرق العربي الإسلامي، وخصوصاً الشام وفلسطين للسيطرة على المقدسات

**المسيحية والأرضي التي عاش ودعا فيها المسيح ابن مريم.**

ووُجِدت دعوة ذلك البابا إستجابة كبيرة من الأوروبيين خاصةً بعد ما شاع في ذلك الحين من أن الأتراك السلاغقة يعترضون قوافل الحجاج المسيحيين القادمين من الغرب ويعتدون عليها، كما يعتقدون على المقدسات المسيحية.

هكذا كانت بداية التفكير الذي أدى إلى الحروب الصليبية التي بلغت حملاتها أكثر من خمسة عشر حملة «منها ثمانى كبيرة» ودامت نحو مائة سنة أو يزيد وفي كل مرة كان خط سيرها يتخطى الألفي ومائى ميل وإشتراك كل بلاد أوروبا المسيحية من الجبلترا واسكتلندا في أقصى الغرب حتى بلاد المجر والرومان، وشملت ساحة معاركها كل بلاد الأناضول «أو آسيا الصغرى» والشام ومصر، بل وليبيا وتونس أحياناً.

وفي أثناء الفترة الطويلة التي استمرت فيها الحروب الصليبية دخلت عوامل وأهداف أخرى لا علاقة لها بأى مقدسات أو دعاء دينية مزعومة، منها - بل على رأسها - طمع الكثريين من نبلاء أوروبا وأمرائهم في إنشاء ممالك لهم في بلاد المسلمين تمكنهم من زيادة ثرواتهم الخاصة ونفوذهم.

سنة ٩٩٠ هـ / ٤٩٢ م ، وعند وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشام كانت دولة السلاغقة «أو الجنادح العسكري للخلافة العباسية» ، بل والخلافة العباسية ذاتها تعانى مرض الشيخوخة وأوهن من أن تصد عدواً يقع عليها. وكانت بلاد المسلمين تخلو من دولة موحدة تجمع المسلمين وتوحدهم لمواجهة الخطر الصليبيي الزاحف.

وهذا ما جعل الغرب الأوروبي ينجح بعد حملتيه الصليبيتين الأولى والثانية في الإستيلاء على بيت المقدس وإنشاء مملكة صليبية به بالإضافة إلى ثلاث إمارات مسيحية، إثنان منها في الشام هما: إمارة أنطاكية وإمارة طرابلس، والثالثة في شمال العراق على الفرات هي إمارة الرها.

ثم يستيقظ العالم الإسلامي من سباته العميق، وغيابه، وبدأت حركة نهوض وجهد توحيدى واسع المدى، على يد «نجم الدين إلغازى» صاحب ماردين

من بلاد الجزيرة «الواقعة شمال العراق إلى الشرق من نهر الفرات»، وعماد الدين زنكي صاحب الموصل، ثم يتسع نطاق تلك الحركة الناهضة ليشمل بلاد الشام، ويبلغ النهوض أو الإفاقه من الغيبة أقصى مدى في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري بعد إنضمام مصر إليها على يد نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي، وانتقال قيادة الحركة إلى مصر بعد قيام الدولة الأيوبية على يد مؤسسها صلاح الدين الأيوبى، الذي حقق إنتصاراً حاسماً على الصليبيين في حطين سنة ١١٨٧ هـ / ٥٨٣ م، واستعاد بيت المقدس من أيدي الصليبيين.

وكانت حطين هي بداية النهاية للصليبيين وحملاتهم على الشرق الإسلامي، على النحو الذي سنراه تفصيلاً.

سنة ١٩٢٠ (أى القرن العشرين) وقف «غورو» قائد الجيش الفرنسي الذي غزا سوريا ليفرض عليها قبول الانتداب الفرنسي - وهو الإصطلاح المذهب للإحتلال - أمام قبر صلاح الدين الأيوبى في دمشق وقال: «هانحن قد عدنا يا صلاح الدين». قاصداً بذلك أن الصليبيين الذين هزمهم صلاح الدين في القرن الثاني عشر الميلادي، قد عادوا مرة أخرى في القرن العشرين.

هذا ما حدث سنة ١٩٢٠ بعد أكثر من ٧٠٠ سنة مضت على تصفية وجودهم في المشرق العربي الإسلامي.

ونفس هذا السيناريو يتكرر اليوم.. . فبعد ضياع فلسطين سنة ١٩٤٨ .. توشك القدس أن تضيع اليوم، بعدما أعلنتها إسرائيل عاصمة أبدية لها، وما تقوم به إسرائيل يومياً من إجراءات بالقدس لتغيير ملامحها وتاريخها العربي الإسلامي تحت سمع وبصر كل حكام العرب وال المسلمين. فهل نقول ما أشبه اليوم بالبارحة... . وهل ما نحن فيه من سبات عميق شبيه بما كان فيه العباسيون والفاتميون في أخيريات أيام دولتهم؟! وهل هناك إتصال بين ما حدث منذ تسع قرون «بداية الحملات الصليبية» وبين ما يحدث الآن في نهاية القرن العشرين؟ وهل السبعة قرون - منذ نهاية الحملات لم تكن إلا فترة هدنة بينهم وبيننا؟! . وهل ما يدعونه من سلام ووئام ليس إلا خيالات وأوهام؟!

هذا ما سوف تكشفه لنا حفائق التاريخ عندما نستعرضها من خلال هذا الموجز

لتاريخ الحروب الصليبية.

يبقى أن نشير إلى أننا سوف نلتفت بعد أن نستعرض التاريخ إلى حقيقة واضحة وضوح الشمس، وهي أن السكين الصليبية مضت في الزيد العربي بسهولة ويسر بسبب الفرقة السياسية والشراذم.

وخلال الصراع الطويل على مدى قرنين من الزمان كانت المعادلة الواضحة دون أي لبس أو غموض هي كالتالي:

وحدة وعمل مشترك في الجانب العربي الإسلامي تدهور = وهزيمة في الجانب الصليبي أو المعادي.

والعكس دائماً صحيحاً تماماً.

فهل سنفيق بعد أن نعي درس التاريخ، أم سنظل بسباتنا وغفلتنا قانعين؟ . . .

مصطفى وهبى

المنصورة في ٢٧/٨/١٩٩٧

الفصل الأول

نظرة شاملة على حال العالم  
قبيل المخوب الصليبية

to: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

## (١) الغرب الأوروبي قبيل الحروب الصليبية

حتى القرن الحادى عشر الميلادى / الخامس الهجرى، وقبل بداية الحروب أو الحملات الصليبية على المشرق العربى، لم تكن أوروبا كما نعرفها اليوم، دولاً مستقرة وشعوباً متميزة، بل كانت مجرد منطقه إقطاعيه متخلفة بالقياس إلى ما وصلت إليه - حينذاك - حضارة العالم البيزنطى «وريثة الإمبراطورية الرومانية وإمبراطورية اليونان القديمة»، وحضارة العالم العربى الإسلامى، من قوة وإزدهار.

وقد كان القرن الحادى عشر الميلادى بالنسبة للغرب الأوروبي بداية فترة إمتدت ثلاثة قرون تمثل مرحلة الإبداع والنهوض فى تاريخ العصور الوسطى وخلال تلك الفترة كانت المؤسسات السياسية والإقتصادية والدينية والاجتماعية التى تشكلت منذ القرن السادس الميلادى قد رَسَخت بحيث كانت الأساس الذى قامت عليه حضارة أوروبا فى العصور الوسطى.

لقد شهد القرن الحادى عشر ميلاد قادة كبار وزعماء بارزين «من جهة نظر الغرب طبعاً» مثل: وليم الفاتح ملك إنجلترا، والإمبراطور هنرى الثالث وإبنته هنرى الرابع، وروجر الأول النورمانى حاكم صقلية، وروبرت جويسكارد وإبنته بوهيموند أبرز زعماء الحملة الصليبية الأولى، والفونسو السادس ملك قشتالة. وقد كان أولئك جميعاً من العسكريين الذين كانوا يبحثون عن السلطة والمجد، يمثلون من وجهة نظر الشرقيين «أو العرب المسلمين» الغدر والجموح والتعصب.

وعاش فى القرن الحادى عشر الميلادى معظم البابوات أو رجال الكنيسة الإصلاحيين «أو الذين لهم وجهة نظر سياسية وطموح سلطوى» ومن أبرزهم كان البابا جريجورى السابع «الشيطان المقدس» الذى رغب فى تحقيق السمو البابوى وسيطرة البابوية على مجريات الحكم والسياسة فى أوروبا آنذاك، وخليفته أوريان الثانى صاحب أول دعوة إلى الحملات الصليبية.

على جانب آخر كان هناك فى أوروبا القرن الحادى عشر الفلاحون المتعبدون الذين كانوا يزيلون الغابات ويزرعون أرضها بالمحاصيل التى تحتاجها أوروبا. وكان

هناك بحارة الموانئ الأوروبيية «مثل جنوا والبنديقية وبيزا» الذين نجحوا في طرد المسلمين من شواطئ أوروبا، وكانت تستولى عليهم روح الحيوية الدافقة والحماسة الجسورية التي كانت ملماحاً من ملامح أوروبا حينئذ.

في ذلك الوقت كان الطابع الريفي أو المظاهر الإقطاعي هو الغالب على أوروبا. وكان الأوروبيون يعيشون تحت رحمة الطبيعة إلى حد بعيد، إذ كانت الأرض المزروعة لا تزال ضئيلة المساحة بالقياس إلى مناطق البراري والغابات والأراضي البور. وكانت كل هذه المساحات مرتعاً للحيوانات المفترسة كالذئاب والدببة وغيرها. ولم يكن غريباً أن تدخل هذه الحيوانات إلى القرى أو تتجول في الحقول المزروعة. وكان الفلاح الأوروبي يعيش في كوخ صغير حياة أدنى من حياة الحيوان الذي يعمل في الحقل. وكان طعامه فقيراً وبسيطاً من إنتاج حقله، وملابسها كان يصنعها من جلود حيواناته وصوف أغنانه، وكان يومه شاقاً مضنياً يقضيه في أعمال كثيرة متعددة بحيث يأوي إلى فراشه الخقير في الليل وقد هذه التعب، ولم يكن الفلاح الأوروبي يأكل اللحم الطازج سوى مرة واحدة في عيد ميلاد المسيح، ويحتفظ بما يتبقى منه مقدداً وملحاناً ليأكل منه طوال العام. وفي كل الأحوال لم يكن يأمن على نفسه من الجوع، بسبب التكلفة الباهظة لوسائل النقل في ذلك الزمان كان تدهور الزراعة ونقص محصولها الدائم سبباً من أسباب المجاعة.

وكانت السنوات العشر التي سبقت الدعوة إلى الحملة الصليبية الأولى سنة ٩٥٤هـ / ١٤٩٦ م سنوات صعبة بالفعل على سكان أوروبا ولا سيما شمال فرنسا وغرب المانيا، إذ شهدت تلك السنوات سلسلة تكاد تكون متصلة من الفيضانات والمجاعة، وكان الرعب يستولي على سكان تلك المناطق من ذلك الوباء الغامض الذي كان يضرب فجأة إحدى القرى أو المدن، فلا يتركها إلا وقد حصد أغلبية سكانها بمنجل الموت والعذاب البطيء. ومن الطبيعي أن يكون رد فعل الناس البسطاء المعتمد هو التعلق بأهدايب الدين أو محاولة التكفير عن الذنوب والتجمع حول الزاهدين والنساك بحثاً عن الخلاص. ولذا وجدت الدعوة التي دعاها البابا أوروبان الثاني لشن حرب صليبية ضد المسلمين تربة خصبة نمت وترعرعت فيها.

وبالنسبة لمعظم سكان غرب أوروبا في القرن الحادى عشر الميلادى كانت القرية هي الوحدة الأساسية إقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وأيضاً على المستوى الدينى. وكان كل رجل يعمل في الأرض الزراعية مقيداً بالتزامات إقطاعية تجاه أحد السادة الإقطاعيين. وفي ظل تلك الظروف المعيشية الصعبة كان جزء كبير من الفلاحين الذي كانوا يتمتعون بقدر من الحرية يتحولون تدريجياً وبمعدلات متضاعدة في كافة أنحاء أوروبا إلى عبيد يخدمون السادة الإقطاعيين أو النبلاء. وكان كثيرون منهم يفضلون اللجوء إلى الكنائس والأديرة ليصبحوا عبيداً للرب، يعملون في الأراضي الزراعية الكثيرة التي تمتلكها الكنائس والأديرة في ذلك الوقت، على الألا يستمروا في خدمة أسيادهم الإقطاعيين الذين يذوقون المر معهم، فقد كان هؤلاء السادة أو أصحاب الأقطاعيات يعتبرون أنفسهم ملائكة لكل شيء، بل ملائكة للأرض ومن عليها، وأن من حقهم أن يعهدوا للفلاحين بإستخدامها فقط دون حيازتها، وكان على الفلاح أن يقدم عدداً من الخنازير لسيدة القطاعي إذا أراد أن ترعى خنازيره في الغابة الملائقة للقرية، كما كان عليه أن يقدم له زبداً أو شيئاً من هذا القبيل مقابل أن يترك أبقاره ترعى في المراعي المحيطة بالحقول، وإذا صاد القروي بعض الأسماك من المجاري المائية أو البحيرات الواقعة داخل نطاق القطاعية يكون للسيد القطاعي حتى الحصول على نصيب من هذا الصيد. وباختصار كان السيد القطاعي يعتمد في غذائه على ما يتوجه الفلاحون. كما كان يعتمد على قوه سواددهم في بناء بيته أو قلعته التي تتوسط الأرض المزروعة، وفي المقابل كان الفلاحون - أو عبيد الأرض - لا يتمتعون بأية حقوق مدنية تجاهه. فلا يمكنهم الرحيل أو ترك الأرض، كما لا يمكنهم إستبدال سيدهم القطاعي إلا بإرتكاب جريمة أو المغامرة بالهروب أو بشراء حرفيتهم بالمال إذا قبل السيد بيعهم. أو إذا توفر لديهم المال - وهذا مستحيل بالطبع.

وهكذا كان الفلاحون فريسة للخوف الدائم، والإضطراب المستمر والإفتقار للأمن، وكانت أيامهم تمضى كثيبة في انتظار مستقبل لا يأتي، وقد وقعوا تحت وطأة الطبيعة التي كانت تهددهم بنقص المحاصيل والمجاعات والأوبئة بين حين والأخر، كما وقعوا تحت وطأة سادتهم الإقطاعيين الذين ساموهم سوء العذاب كما جعلوهم وقوداً لحروبهم الإقطاعية.

وفي ظل تلك الأوضاع الاجتماعية المحبطة والحياة القاسية والجو الفكري المشبع بالخرافات والتدين العاطفى والتعصب وجدت دعوة البابا أوربان الثاني للقيام بحمله صلبيّة صدىً واسعاً واستجابة كبيرة من أولئك الفلاحين والفقراط الذين وجلوا في دعوته فرصة رائعة للخلاص من الفقر والإحباط والساقة الإقطاعيين أيضاً. كما أنها كانت تمثل لهم فرصة لخلاص أرواحهم المشللة بالذنب والآثام! لقد كان الجوع الذي عض بأنيا به معظم أنحاء أوروبا «وبالتحديد غربها» قبل نهاية القرن الحادى عشر بسنوات قليلة وراء خروج الأعداد الغفيرة من الفلاحين وللمعدمين خلف قادة العصابات الذين شكلوا ما عرف باسم «الحملة الشعبية» أو «حملة الفلاحين» التي سبقت الحملة الصليبية الأولى.

لقد ربط هؤلاء الجياع والمحرومین أحوالهم التردية باعتقادهم بقرب نهاية العالم التي ستنتهي إلى أورشليم السماء، ولم يكن في وسعهم أن يفرقوا بين أورشليم الحقيقة في فلسطين، وأورشليم التي تخيلوها في السماء في أيدي الصور وأحلاماً.

وكثيرون عاشوا طويلاً في إحباط وبؤس، فإنهما رأوا في الدعوة الصليبية فرصة هائلة لإختلط فيها الطمع الدنيوي بالرغبة في الخلاص. وكما رأى الفلاحون الأرقاء والفقراط في الحملات الصليبية فرصة لخلاصهم الدنيوي والأخرى، فاستجابوا بسرعة وبشكل كبير لدعوة البابا لهم كى يغزوا المشرق العربي، كذلك رأى فرسان أوروبا وبناؤوها وأمراؤوها في تلك الحملات فرصة لتحقيق طموحاتهم لزيادة ثرواتهم وملكياتهم وإتساع منطقة نفوذهم وسيطرتهم سيمما بعد أن ضاقت بهم أرض أوروبا ولم تعد إمكاناتها ومواردها تتناسب مع زيادة عددهم. وهذا ما كان يسبب نزاعات مستمرة بينهم ويدفعهم إلى خوض الحروب الكثيرة ضد بعضهم البعض.

وقد ذكر البابا «أوربان الثاني» لستمعيه من الفرسان ما نصه: «... هذه الأرض التي تعيشون عليها محاطة بالبحر من كل جانب، تحوطها سلاسل الجبال، وتضيق بكم الكبيرة، وهي لا تفيض بالثروات الكبيرة، إنما تكاد تعجز عن توفير الطعام لمن يقومون بزراعتها، وهذا هو السبب في أنكم تستون الحرب ضد

بعضكم البعض، وتقتلون بعضكم بعضاً.

لقد كانت الزيادة السكانية الكبيرة في غرب أوروبا في القرن الحادى عشر الميلادى من أهم الأسباب التي حفّزت أبناء الغرب الأوروبي على البحث عن أرض جديدة وموارد جديدة خارج أوروبا، إذ كانت مجالات التوسيع الأوروبية عاجزة عن توفير الغذاء الكافى لتلك الأعداد المتزايدة من السكان وعن تحقيق ما يطمح إليه فرسان ونبلاء أوروبا من زيادة ملكياتهم وثرواتهم. ولذلك جاءت الدعوة إلى التوسيع في الشرق العربى الإسلامى، وبباركة الكنيسة بمثابة الحل السعيد لكل مشكلات الغرب الأوروبي.

ومثلما كان الفقراء من فلاحي أوروبا «الإنجليز والفرنسيين والألمان» وفرسانهم ونبلائهم يحلمون بكثرة الشرق والحياة الأفضل تحت سمائه، كانت مدن البحر الإيطالية: جنوا وبيزا والبنديقية. تحلم بالسيطرة على تجارة البحر المتوسط، ومن ثم السيطرة على تجارة العالم، وذلك لم يكن ليتحقق إلا بعد السيطرة على الموانى العربية المزدهرة شرق وجنوب البحر المتوسط، ومن هنا جاءت مساهمة تلك المدن في الحملات الصليبية.

و قبل أن تنتقل من غرب أوروبا، مهد الحملات الصليبية، إلى الشرق العربى الإسلامى و تتعرف على حاله قبيل بدء تلك الحملات نرى من الضروري التعرف على بقية ملامح خريطة ذلك الزمان، فتتعرف على دولتين كانتا سائدين آنذاك ولهما شأن كبير وبينهما أيضاً صراع، وهما الإمبراطورية البيزنطية ودولة السلجوقة.

\* \* \* \*

## (٢) الإمبراطورية البيزنطية

تأسست الإمبراطورية البيزنطية في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور «أركاديوس» سنة ٣٩٥ م وكانت تشمل الأراضي الواقعة في هضبة الأناضول من حدود البوسفور حتى نهر الفرات، وعاصمتها كانت القسطنطينية التي بناها «قسطنطين الكبير» على أنقاض مدينة يونانية قديمة كانت تقع على البوسفور وذلك سنة ٣٢٤ م. أنشئت تلك الإمبراطورية لمحابية الفرس، ثم توطلت أركانها كامبراطورية قوية وذات نفوذ بعد تفكك الإمبراطورية الرومانية وزوالها. لعبت تلك الإمبراطورية دوراً هاماً في الخلافات الدينية المسيحية وكان بين كنيستها وكنيسة روما صراع طويل كما كان بين تلك الكنيسة والكنيسة القبطية في مصر صراع أيضاً. عجزت تلك الإمبراطورية عن صد الفاتحين العرب الذين انتزعوا منها سوريا ومصر وشمال أفريقيا وذلك بعد سنة ٦٣٢ م، كما بلغ العرب حدود عاصمتها القسطنطينية «إستانبول الحالية» مرات عديدة، بلغت أوج قوتها وإزدهارها على عهد السلالة المقدونية في الفترة من ٨٦٧ إلى ١٠٥٧ م. وكان بينها وبين السلالة الحمدانية في حلب صراع مستمر. وفي القرنين الحادى عشر والثانى عشر كان هناك صراع كبير بينهما وبين دولة السلاجقة التي كانت في ذلك الوقت بمثابة الجناح العسكري لدولة الخلفاء العباسين.

\*\*\*\*\*

### (٣) الدولة السلاجوقية

السلاجقة في الأصل قبائل وثنية كانت تستوطن سهول تركستان ونزحوا منها في القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادى إلى الأراضى الإسلامية المجاورة، واعتنقوا الإسلام بعد أن أسلم جدهم الأكبر «سلجوق»، منشى دولتهم التي سرعان ما قويت واتسع سلطانها على حساب القبائل التركية المجاورة، ثم واصل «طغرل بك» حفيد «سلجوق» غزوه ورافقه نحو الجنوب والجنوب الغربى فاستولى على خراسان وفارس وبعدهما واصل رحلته نحو الموصل التى استولى عليها نحو سنة ١٠٥٥ م / ٤٤٨ هـ وبعد الموصل سار إلى بغداد، فاستقبله الخليفة العباسى «القائم بأمر الله» وفي بغداد قدم السلاجوقى «طغرل بك» فروض الولاء والطاعة لنزعيم الإسلام الروحى، الخليفة المسلمين، فأعلنه الخليفة ملكاً على جميع الأراضى والبلاد التى غزاها وسيطر عليها، وحين قام أحد أتباع الخلافة الفاطمية «الذى كانت على المذهب الشيعى» ويدعى «أبو الحارث البساسيرى» بثورة على الخليفة العباسى القائم بأمر الله «السنن» وقام بعزله واستغاث القائم «بطغرل بك» الذى هرع إلى بغداد بجيشه وقاتل «البساسيرى» حتى تمكן منه وقتله موظداً بذلك للقائم بأمر الله أركان خلافته العباسية بعد أن قضى على النفوذ الشيعى فى بغداد وكما يحدث دائماً بدأ الفاحرون الذين جاءوا منقذين، يتصرفون باعتبارهم غزاة، فهيمروا على الخلافة العباسية ودولتهم الضعيفة. وصارت المنطقة بين خراسان وبلاد الشام وحدة سياسية واحدة تتبع الخليفة العباسى إسمها ولكنها تدين بالخضوع الفعلى لسلطة سلاطين السلاجقة العظام: «طغرل بك» ثم «ألب أرسلان» ومن بعدهما «ملكشاه» واستمر التوسيع السلاجوقى فى بلاد الشام على حساب الفاطميين وفي آسيا الصغرى على حساب البيزنطيين التي كانت دولتهم تعانى من الضعف وتوشك على الانهيار، وكثيراً ما كان أباطرتها يلجأون لطلب العون والمساعدة من بابا الفاتيكان «باعتبار إمبراطوريتهم مسيحية» لكي يبحث فرسان أوروبا ومحاربيها للوقوف إلى جانبهم فى وجه حقد دولة السلاجقة الفتية.

كان هذا هو حال الدولة البيزنطية وغيرها من الدول السلاجوقية قبل الحملات الصليبية، فماذا كان حال المشرق العربى الإسلامي آنذاك؟

## (٤) المشرق العربي الإسلامي قبيل المخوب الصليبية

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادى، كان المسلمين في المنطقة العربية موزعين في لأنهم السياسي بين الخلافة العباسية السنوية في بغداد والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة، وبالإضافة إلى التزاع والتخاصم المستمر بين الخلفتين، فإن أحوالهما الداخلية كانت مرتبكة بالقدر الذي جعل بلاد الشام وهي المجال الحيوي الذي تنازعـتـ الخلافـاتـ السـيـادـةـ عـلـيـهـ - موزعة أو مقسمة إلى عدة إمارات صغيرة، كل إمارة مستقلة بذاتها يحكمها حاكم عربي أو حاكم من السلوجقة. وكانت مشاعر الحقد والشك المتبدلة بين هذه الكيانات السياسية الصغيرة سبباً في العداء السياسي والعسكري الذي كان حائلاً دون توحدها في مواجهة الغزو الصليبي.

كانت الأحوال السياسية الداخلية المرتبكة قد جعلـتـ الخلافـةـ أوـ الـدـوـلـةـ العـبـاسـيـةـ عمليـاـ فيـ أيـديـ الـأـمـارـاتـ السـلـوـجـقـةـ،ـ يـتـحـكـمـونـ فـيـ هـاـ وـيـوجـهـونـ دـفـةـ الـحـكـمـ بـهـاـ كـيـفـ شـاؤـواـ.

وعلى الجانب الآخر كانت الخلافة الفاطمية قد دخلـتـ مرحلة التدهور السياسي الداخلي بعد أن سيطر الـوزـراءـ فيهاـ علىـ الـخـلـفـاءـ وـحـولـوـهـمـ إـلـىـ دـمـىـ يـسـرـكـونـهاـ حـسـبـ أـهـوـانـهـمـ.

وعلى الرغم من المحاولات العسكرية المتكررة إلا أن الفاطميين فشـلـوـاـ فـيـ إـسـتـرـادـادـ نـفـوذـهـمـ الضـائـعـ فـيـ الشـامـ.ـ وـكـانـ الـخـلـافـاتـ السـيـاسـيـةـ وـالـمـعـارـكـ العـسـكـرـيـةـ تـشـتـعـلـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ السـلـوـجـقـةـ حـمـةـ الـخـلـافـةـ العـبـاسـيـةـ،ـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـطـمـحـونـ إـلـىـ ضـمـ الشـامـ وـمـصـرـ تـحـتـ رـايـهـمـ.ـ كـماـ كـانـ هـنـاكـ مـنـازـعـاتـ وـمـنـاوـشـاتـ دـائـمةـ بـيـنـ السـلـوـجـقـةـ وـبـيـنـ السـلـوـجـقـةـ وـحـكـامـ الـأـمـارـاتـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الشـامـ.

وعندما وصل الصليبيون إلى المنطقة كانت هناك إمارة في حلب يحكمها «رضوان» الموالي للفاطميين، وكان العداء مستحكماً بينه وبين إمارة الشرق التي يحكمها «دقاق» الموالي للعباسيين، أما إمارة «شيراز» على نهر العاصف قرب حماة

فكانت تحت حكم بنى منقد، على حين كانت طرابلس تحت حكم بنى عمار الشيعة، أما بيت المقدس فقد ظل بأيدي السلاجقة حتى سنة ١٠٩٨ هـ / ١٤٩١ م حين إستولى عليها الفاطميون في أثناء وجود الصليبيين في أنطاكية، أما مدن الشمال في آسيا الصغرى وأعلى بلاد الشام فكانت تتقلّ من حكم البيزنطيين إلى حكم المسلمين، ثم العكس، بطريقة تبادلية، وبأيقاع سريع، وكانت ضعيفة التخريب المستمر والتدحرور.

وهكذا وعلى مدى قرن كامل قبل قدوم الصليبيين، كانت المنطقة العربية الإسلامية مقسمة إلى كيانات سياسية صغيرة متصارعة، ولذلك عندما قدم الصليبيون لم يكن لدى حكام العرب والمسلمين سوى ميراث طويل من الشك والمرارة تجاه كل منهم لآخر. ولهذا مضت قوات الصليبيين كما تمضي السكين في الزبد.

وفي طيات الموجة الصليبية الأولى غرقت هذه الإمارات الصغيرة الواحدة تلو الأخرى. وكان سقوط مدينة «نيقية» عاصمة دولة السلاجقة في أيدي قوات الحصار المشتركة من الصليبيين والبيزنطيين صدمة ونذير خطر لجميع القوى الإسلامية، ولكن الأنانية وضيق النظر جعل تلك الصدمة وذلك النذير بلافائدة



الفصل الثاني

## الحملات الصليبية



## الحملة الصليبية الأولى

في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٠٩٥هـ / ٤٩٦ م، وفي حفل فسيح خارج مدينة «كليرمون»، وأمام جمع غفير من الناس الكنسيين والعلمانيين، خطب البابا «أوربان» الثاني خطابا حماسيا مطولا استعرض فيه ما وصفه باضطهاد المسلمين للحجاج المسيحيين في بيت المقدس. ودعا فيه آلاف الكاثوليكين الذين إحتشدوا من حوله إلى أن يشنوا حربا مقدسة ويزحفوا على المشرق العربي الإسلامي ليحرروا بيت المقدس وبخلصوه من أيدي المسلمين الكفرا - على حد تعبيره. ولم ينس في خطابه أن يتدرج شجاعة الفرنج<sup>(\*)</sup> وقدراتهم القتالية وأن يذكرهم بأمجاد أسلافهم العظام وأن يحثهم على نبذ خلافاتهم ونزاعاتهم وعدم إراقة الدماء المسيحية في حروبهم ضد بعضهم. كما لم ينس أن يشير إلى منح غفران جزئي لكل من سيشارك في الحملة الصليبية التي سيشنونها لتحرير بيت المقدس سواء مات في الطريق إلى الأرض المقدسة أو قتل في المعارك. معتبرا كل من يشارك في الحملة جنديا في جيش الرب. وفي نهاية خطابه وزع صلباتا مصنوعة من القماش على جموع المحشدين حوله ليحيطونها على ملابسهم، وبذلك صار الصليب شارة لكل فارس مشارك في الحملة الصليبية. والواقع أن خطبة البابا العاطفية الحماسية بما تخللها من تلويع بال maksab الدينية وترغيب في المكساب الدينية لقيت استجابة فورية وهائلة من الحاضرين، ولم تكن الاستجابة ناتجة من فصاحة البابا وقوته بيانه بقدر ما كانت تعبرأ عن أن البابا طرح أمام أبناء الغرب الكاثوليكي مشروعآ طال انتظارهم إياه. فقد كانت الدعوة إلى القيام بالحملة الصليبية تناسب العصر تماما، إذ كان المجتمع الإقطاعي بغضره وكبريائه، وتعصبه ضد غير الكاثوليك، على أتم الاستعداد لتلبية مثل هذا النداء الذي يحل مشكلته في الدنيا، ويضمن له المعامرة والكسب، مثلما يضمن له خلاص الروح والفردوس السماوي.

وزيادة في ترغيب الأوروبيين وتشجعهم للمساهمة في الحملة الصليبية

(١) أطلق العرب لفظ الفرنج على الفرنسيين أولا ثم أصبح يطلق على الأوروبيين.

أصدرت الكنيسة مرسوماً غاية في الأهمية لصالح الصليبيين فلأنه فترة غيابه تُعْفى  
أملاك الصليبي من الضرائب، كما يمنع تسهيلات في الديون التي يستدinya لا  
سيما وأن تكاليف الرحلة قد إضطرت كثيرين إلى الاستدانة من أقاربه ومعارفه،  
ومن الكنيسة أيضاً.

وتحدد يوم الخامس عشر من شهر أغسطس من العام التالي ٩٦٠ هـ / ١٤٩٧ م موعداً لرحيل الحملة، حين تكون المحاصيل الزراعية قد جمعت من الحقول. أما  
مكان الالتقاء والتجمع فكان مدينة القسطنطينية الحصينة على ضفاف البوسفور.

هكذا، وعلى مدى ثمانية شهور بعد خطاب (كليرمون)، أخذ البابا «أوربان»  
الثاني يتقلّ بين أنحاء الغرب والجنوب الفرنسي داعياً إلى حملته الصليبية في  
محاولة لأن يجند لها أكبر عدد من الفرسان والأمراء البارزين بعد أن رأى أن عدد  
الحاضرين الذين استمعوا إلى خطابه لم يكن بالقدر الكافي.

وطلب البابا من أساقفته ومن المبشرين والداعية الفقراء أن يواصلوا ما بدأه  
ويدعون للحملة الصليبية أينما رحلوا وفي كل مكان يذهبون إليه. وكان من بين  
هؤلاء وأشهرهم: «بطرس الناسك» الذي هجر الدير بتتكليف من البابا وأخذ  
يتتجول في شتاء سنة ٩٥٠ م / ١٤٩٥ م بين أرجاء الشرق الفرنسي واللواريين داعياً  
إلى حملة البابا. وفي كل مكان كان يذهب إليه هذا بطرس، كان يسرّر الباب  
الفقراء والمعدمين بفصاحته التي تناقض هيئته الزرية، إذ كان روث الثياب، حافي  
القدمين، بينه وبين حماره الذي يتنقل عليه شبه كبير، وحيثما حلّ كان الفقراء  
المأزوون والمتاثرون بما يقول يتزاحمون ويتسابقون لنزع شعرات من ذيل حماره  
المسكين ومن جسده طلباً للبركة.

وسرعان ما التفت حول بطرس الناسك جموع غفيرة من الفلاحين والفقراء  
والخالة الذين لم يصبروا حتى يرحلوا في الموعد الذي حددته البابا أوربان الثاني  
للرحيل، فوجد بطرس نفسه وقد إمتنى حماره الذي يشبهه كثيراً في مقدمة جيش  
يتكون من عدد قليل من الفرسان الذين يمتطون صهوات جيادهم وخلفهم آلاف  
من الرجالين ثم العربات الثقيلة التي تجرها الشيران حاملة المؤن والأموال والمعدات  
التي كان بطرس قد جمعها من أثرياء الغرب الأوروبي. وغادر هذا الجيش

العجب الاراضى الالمانية فى ربيع سنة ١٠٩٦ هـ / ٤٩٧ هـ.

وبالطبع لم يكن بطرس الناسك الذى كان قادراً على تحريك مشاعر الجماهير وإثارة عواطفهم، يصلح لقيادة مثل هذا الجيش الذى تألف من معدمين وفقراء، ومغامرين وأفاقين مجرمين وبنات هوى، كلهم يحلم بشروء الشرق ونعمته، كما يحلم بملكوت السماء الموعود.

وما أن وصل ذلك الجيش - الذى كان بمثابة طليعة للحملات الصليبية التى تواترت فيما بعد - إلى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية حتى أخذ يعيث فيها فساداً ونهباً وقتلاً وحرقاً، مما اضطر الإمبراطور البيزنطى لأن ينقلهم بسرعة (أو يطردهم) عبر المضائق إلى آسيا الصغرى - بعد التفاهم مع قادتهم بطرس الناسك بالطبع - وهناك فى آسيا الصغرى وقعوا فى شباك السلاجقة التى كانوا قد نصبرها لهم، وأجهزوا عليهم. وبذلك انتهت تلك الحملة الصليبية الشعبية فوق تراب الشرق العربى الإسلامى الذى داعب خيالهم وحرك فىهم مشاعر الطمع على مدى الفين ومائتين ميل هي طول المسافة من الغرب الأوروبي إلى الشرق.

فى تلك الأثناء كانت جيوش الفرسان فى غرب أوروبا تتأهب للرحيل، وكانت قد تكونت عدة جيوش على أساس من التقسيمات اللغوية والجنسيّة من جهة، وعلى أساس من الروابط الاقطاعية من جهة أخرى.

فكان هناك جيش يقوده «جودفري البويلونى» ويصبحه أخوه «بلدوين» وتتألف جيشهما من فرسان شمال فرنسا واللورين، وجيش يقوده «روبرت» الثانى ومعه «ستيفن هنرى» زوج أخته، وتتألف جيشهما من فرسان غرب فرنسا ونورماندي، وجيش يقوده «ريعون» الرابع ويصبحه «أديغار» المندوب البابوى، وتتألف هذا الجيش من فرسان جنوب فرنسا، وجيش يقوده «هييو»، شقيق فيليب الأول ملك فرنسا، وجيش يقوده «بوهيموند» ويتألف من فرسان التورمان وقد بلغ عدد جنود تلك الجيوش المشاركة فى الحملة الصليبية الأولى، أكثر من ٧٠٠ ألف مقاتل. وصلت تلك الجيوش تباعاً إلى الاراضى البيزنطية وتجمعت فى القسطنطينية حيث استقبلها الإمبراطور البيزنطى الذى لم يسمح إلا للقادة وعدد قليل من مرافقهم بالدخول إلى العاصمة الامبراطورية وفرض على القوات الصليبية أن يضرموا خيامهم

ويعسّروا خارج المدينة، وذلك لسابق تجربته ومعاناته من الحملة الصليبية الشعبية التي قادها «بطرس الناسك».

وفي القسطنطينية كادت الحملة الصليبية الأولى أن تفشل وينقلب الحال إلى قتال بين البيزنطيين والصلبيين بعد أن تأزمت الأمور بين قادة الحملة والأمبراطور البيزنطي الذي كان يصر على أن يُقسم له قادة الحملة ميّن الولاء والتبعية قبل أن يسمح لهم بعبور أراضيه، بينما قادة الحملة الذين يملأهم الغرور والغطرسة كانوا يرفضون ذلك معتبرين أنفسهم في مهمة مقدسة تستوجب خضوع الجميع لهم، كما أن من أسباب تلك الأزمة العداء القديم بين الأمبراطورية البيزنطية وبين الغرب الأوروبي والخلاف المتواتر بين الكنيسة البيزنطية وبابا الكاثوليك على رعامة العالم المسيحي.

وفي النهاية تمكّن الأمبراطور البيزنطي بدهائه أن يجعل قادة الحملة يقسمون له بالولاء، ومن لم يقسم منهم (وخصوصاً ريون كونت تولوز الذي كان يقترب عمره من الستين ويقود أكبر جيوش الحملة). أقسم بأن يحمي شرف الأمبراطور وحياته !!

بعد ذلك - وبعد فاصل استعراض القوة بين قادة الحملة وإمبراطور بيزنطة - بدأت عجلة الحرب تدور وعبرت القوات الصليبية مضيق البوسفور إلى آسيا الصغرى الصغرى (تركيا الحالية). وهناك على بعد أميال قليلة من القسطنطينية وجد الصليبيون أنفسهم في «أرض العدو» لأول مرة. وهناك انضم إليهم بطرس الناسك وشراذم الناجين من حملته الشعبية. وكان الأمبراطور البيزنطي قد اعتذر عن قبول العرض الصليبي بقيادة الحملة، واكتفى بأن زود الجيش الصليبي بعدد من الأدلة والرشدين وعدد من العساكر والقادة، كما ظل يرسل لهم المون والأمدادات عن طريق البر والبحر.

وفي السادس من مايو سنة ١٠٩٧ م / ٤٩٨ هـ وصلت جيوش الحملة أمام مدينة «نيقية» عاصمة الدولة السجلوقية التي كان يحكمها «قلع أرسلان»، وكانت المدينة تحكم في الطريق الأساسي عبر هضبة الأناضول، فتم فرض حصار مشترك من القوات الصليبية والقوات البيزنطية حولها إلى أن استسلمت، فاقتتحمتها

الصلبيون وأخذوا في سلبها ونهبها وتدميرها وذبح أهلها.

وبهـت المسلمين بوصول هذه القوات الصليبية إلى «نيقية» - وكانوا في الواقع قادرين على إبادتها، إلا أن ميراث الشك والعداوة بين حكام المنطقة والذي غرسته وأنبتته طوال قرن كامل حروب ودسائس ومنازعات سادت المنطقة، جعل المسلمين عاجزين عن مواجهة الصليبيين ولا بد أن السلاغقة ظنوا أن الحملة الصليبية لم تكن أكثر من حملة عسكرية بيزنطية من النمط الذي تعودوا عليه.

أما الفاطميون (الشيعة) فإنهم لم يفكروا أبداً في مساعدة السلاغقة (السنين) ضد الصليبيين، وإنما بالعكس حاولوا الاستفادة، غير مدركون للخطر الكبير المحدق بهم وبالمنطقة العربية الإسلامية كلها، فسارعوا بالزحف على القدس، التي كانت حتى ذلك الحين بأيدي السلاغقة، واستولوا عليها، مستغلين ضعف قبضة السلاغقة عليها نتيجة إنشغالهم بمواجهة الصليبيين في الشمال. وبعد سقوط «نيقية» واصل الصليبيون زحفهم، فاستولوا على إمارة «الرها» التي كانت تشغله مساحة من الأرض على جانبي نهر الفرات شمال العراق، وسكانها أغلبيتهم كانت من الأرمن الذين اعتنقوا الإسلام، وكانت أهميتها تمثل في دورها كدولة حاجزة في الشمال الشرقي من دولة السلاغقة وبعد سقوط إمارة الرها، أسس «بلدوين» فيها أول مملكة صلبيّة في الشرق الإسلامي.

ثم واصل الصليبيون زحفهم نحو مدينة «انتاكيا» ذات الموقع البديع بالقرب من البحر على منحدر يؤدى إلى وادي نهر العاصي الجميل، والتي كانت في تاريخها القديم درة في تاج الامبراطورية الرومانية القديمة. بدأ الصليبيون في الحادى والعشرين من أكتوبر سنة ١٠٩٧ هـ يفرضون الحصار على انتاكية، واستمر حصارهم لها حوالي تسعه أشهر، حاول خلالها أمراء دمشق وحمص السلاغقة فك ذلك الحصار عدة مرات ولكنهم لم يفلحوا. وخلال ذلك الحصار ظن الفاطميون أن بوسعهم الاستفادة من الوضع، فأرسل الأفضل بن بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي المستعلى - وكان صاحب السلطة الفعلية في الدولة آنذاك - من يفاوض الصليبيين لاقتسام بلاد الشام نكابية في السلاغقة والعباسيين، ولكن المفاوضات فشلت. وتمكن الصليبيون بعد حصار التسعة أشهر من إستماله

أحد الأرمي المشتركين في الدفاع عن المدينة، ففتح لهم باب البرج الذي كان قائماً على حراسته فتدفقوا منه إلى داخل المدينة، وتمكنوا من السيطرة عليها.

وهكذا سقطت المدينة الحصينة، وأسس فيها القائد الصليبي «بوهيمند» ثانية إمارة صليبية على أرض المشرق. وقد كان ذلك في يونية سنة ١٠٩٨ م / ٤٩٩ هـ، واستمر وجودهم فيها حتى سنة ١٢٦٨ م / ٦٦٦ هـ حين تحررت على يد الظاهر بيبرس.

بعد انتهاكية واصل الصليبيون زحفهم نحو القدس التي وصلوا إليها في السابع من يونية سنة ١٠٩٩ م، وفرضوا عليها حصاراً دام خمسة أيام، حتى عجز الفاطميون بداخلها عن الصمود، فاقتحموها يوم الجمعة ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ م / ٢٢ شعبان سنة ٤٩٢ هـ وأخذوا في سلبها ونهبها وقتل كل من كان حياً بها، حتى لقد بلغ عدد من قتلوا بها من المسلمين نحو سبعين ألفاً.

ومن الفظائع التي ارتكبها الصليبيون ببيت المقدس وما حوله، يقول «ابن خلدون» في كتابه «العبر»: «استباح الفرنجة بيت المقدس وأقاموا في المدينة أسبوعاً ينهبون ويدمرون، وأحصى القتلى بالمساجد فقط من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين فكانوا سبعين ألفاً أو يزيدون...».

ويقول «ويلز» في كتابه «موجز تاريخ الشرق الأوسط»: «حدثت ببيت المقدس مذبحة رهيبة، وكان دم المقهورين يجري في الشوارع، حتى لقد كان الفرسان يصبون رشاش الدم، وهم راكبون، وعندما أرخى الليل سدوله جاء الصليبيون وهو ي يكون من فرط الفرح، وخاضوا في الدماء التي كانت تسيل كالخمر في معصرة العنب، واتجهوا إلى الناوس ورفعوا أيديهم المضرة بالدماء يصلّون لله شكرًا».

ويقول المؤرخ المسيحي «نقولا زيادة» في كتابه «الصليبيون في الشرق»: «والحملة الصليبية الأولى، والفظائع التي ارتكبها في طريقها وفي احتلال القدس ليست مما يشرف، وقد تظهر لنا رغبات الصليبيين من خلال تصرفهم مع مسيحي فلسطين أنفسهم، فقد استولوا على أديرتهم وطردوهم من الكنائس والبيوت،

فتبشر المسيحيون في جهات فلسطين وشرق الأردن، وسار البطريرك إلى القاهرة ليعيش في حماية الفاطميين».

هذا ولم يُنْجَع من سكان القدس سوى قائد حاميتها الفاطمي «افتخار الدولة» وعدد من رجاله.

وعندما خمدت شهوة القتل لدى الصليبيين، كانت أولى المهمات التي واجهتهم هي مواراة الجثث التي فاحت منها الروائح التئنة في كل أنحاء المدينة أو التخلص منها بطريقة ما. ثم اجتمع زعماؤهم في كنيسة القيامة لكي يقرروا ما ينبغي عمله بعد أن استولوا على المدينة. فقد كان واضحًا أنهم حين تركوا أوروبا لم تكن لديهم فكرة واضحة عما سيفعلونه بالقدس بعد الاستيلاء عليها، كما أن البابا «أوربان» الثاني - الذي مات قبل أن يعرف بخبر الاستيلاء على القدس - لم يحدد لهم نظام الحكم في المدينة المقدسة. وبعد مشاورات ومداولات بين قادة الحملة الصليبية انتهوا إلى اختيار «جودفري البويلوني» ليكون حاكماً لبيت المقدس تحت لقب فضفاض هو «حامي الضريح المقدس»، ولم يلبث جودفري أن مات في الثامن من شهر يوليو سنة ١١٠٠م / ٤٩٢هـ. فاستدعي بلدوين آخره من إمارته في الرها ليتولى الحكم بدلاً منه.

وهكذا قامت مملكة بيت المقدس الصليبية التي كانت في ذلك الحين تتكون من مدينة بيت المقدس نفسها إلى جانب يافا واللد والرملة وبيت لحم والخليل.

في ١٢ أغسطس ١١٩٩م / ٤٩٢هـ كان «الأفضل شاهنشاه» أمير الجيوش المصرية قد جاء بجيشه لهاجمة الصليبيين، وحين كان يتضرر قドوم الأسطول المصري بالقرب من عسقلان، ليعاونه في هجومه العسكري على الصليبيين، فاجأه الصليبيون وأخذوه على غرة وهزموه هزيمة قاسية راح ضحيتها عشرة آلاف رجل، وفر «الأفضل» غرباً حتى عاد إلى القاهرة. وكانت هذه المعركة بمثابة تأمين وتشييد للوجود الصليبي في بيت المقدس إلى حين.

وفي العام التالي خرج «شرف المعانى» ابن الوزير الفاطمى «الأفضل» بجيشه قوامه عشرون ألفاً من المقاتلين إلى عسقلان ومنها رحف إلى الرملة، وهناك التقى بالصلبيين وأوقع بهم هزيمة قاسية وأسر منهم مئات أرسلهم إلى القاهرة مكبلين

بالحديد ليسروا في شوارعها مكللين بالحجز والعار قيل أن يوضعوا في السجون. وعلى الرغم من هذا الانتصار إلا أنه - في الحقيقة - لم يكن كافيا لاسترداد القدس وطرد الأعداء منه.

وبعد الاستيلاء على بيت المقدس، رحل بعض كبار قادة الصليبيين إلى أوروبا، بينما ظل العدد الأكبر منهم في المنطقة العربية حيث كان عليهم أن يقوموا بمهام الادارة الاستعمارية الإس蒂طانية، ولأنهم كانوا أقل كثيراً في عددهم من المسلمين والعرب أصحاب البلاد، فقد حاولوا قدر طاقتهم أن يشجعوا الهجرة من أوروبا إلى فلسطين لتدعيم وجودهم فيها.

ومن ناحية أخرى كانت أخبار النجاح الذي أحرزته الحملة الأولى للصليبيين قد شجعت عناصر أوروبية جديدة على القدوم إلى الشرق العربي رغبة في الحصول على نصيب من الغنائم التي شاعت أخبارها في الغرب الأوروبي مع العائدين من فلسطين.

في هذا الوقت كان البابا «باسكال» الثاني خليفة البابا «أوربان» الثاني - الداعي الأول للحملات الصليبية - يقوم بعملية دعائية نشطة لتجميع حملة جديدة تساعد الصليبيين الذي نجحوا في إقامة مملكة وإمارتين في بلاد المسلمين.

وفي غرب أوروبا وتحديداً سنة ١١٠١ هـ / ٤٩٤ م، تجمعت حملة جديدة لساندة صليبيين الشرق. ومن «المبارديا» قاد «آسلم» أسقف ميلانو جموعاً من المسيحيين تشبه جيش «بطرس» الناصري وغادروا ميلانو في ١٢ سبتمبر من نفس العام.

وسلكوا نفس الطريق الذي سلكته جيوش الحملة الصليبية الأولى، وعندما وصلوا إلى القسطنطينية بدأوا في إثارة المتابعين الصليبيين المعتادة، فأسرع الامبراطور البيزنطي بنقلهم بسرعة إلى آسيا الصغرى، وهناك لحقت بهم الجيوش الالمانية ثم الجيوش الفرنسية.

وفي تلك اللحظة كان «بوهيمند» القائد الصليبي الشهير أسريراً لدى أمير سواس «الغارى بن الدانشمند»، وسيطرت على صليبيي الحملة الجديدة فكرة الزحف لتحريره، ولكن السلاحة، الذين تلقوا هزيمة مريمة من الحملة الصليبية

الأولى - نتيجة فرقهم وانقسامهم - كانوا يعون الدرس جيداً هذه المرة، فاتّحدت جهودهم في مواجهة جيوش تلك الحملة الصليبية الجديدة وأطبقت جيوش «قلع أرسلان» سلطان السلاجقة، و«رضوان» أمير حلب و«إلغاري» أمير سيواس على الصليبيين الذين تبدّل جمعهم بين قتيل وجريح وأسير، وهرب الزعماء في الوقت المناسب ليخاولوا أن يشيّعوا أن هزيمتهم كانت بسبب خيانة الامبراطور البيزنطي، وانسحب الناجون من فلول هذه الحملة إلى القدس.

من ناحية أخرى بدأ الصليبيون يمدون نفوذهم في الأراضي والموانئ التي كانت تفصل أو تصل بين النقاط المتّاثرة التي استولوا عليها. وفي بظء عنيد بدأوا يفرضون سلطانهم على منطقة تلو الأخرى، في حين بدت المقاومة العربية الإسلامية عاجزة تماماً عن التصدى لهم. فاستولوا سنة ١١٠١م / ٤٩٤هـ على سروج وحيفا وأرسوف ثم قيسارية. وكانت جنوا (في إيطاليا) بأساطيلها خير عنون لهم دائماً.

وحاول الفاطميون في السنة التالية أن يشنوا هجوماً مضاداً على الصليبيين ولكنّه باه بالفشل على الرغم من فداحة خسائر الصليبيين.

ثم في سنة ١١٠٣م / ٤٩٦هـ - ومن جهة أخرى - استولى البيزنطيون على اللاذقية، ثم استولى الصليبيون على عكا سنة ١١٠٤م / ٤٩٧هـ، وبعدّها استولوا على طرابلس سنة ١١٠٩م / ٤٩٥هـ بعد حصار طويّل دام سبع سنوات وأقاموا فيها إمارتهم الصليبية الثالثة.

وهكذا تمكن الصليبيون من فرض سيطرتهم على ساحل البحر المتوسط كله باستثناء صور وعسقلان.

وكان معنى هذا احتلال كبير في التوازن العسكري لصالح الصليبيين بالشكل الذي أفلت إمارة دمشق - التي لم تخضع للصليبيين حتى ذلك الحين.

وإزاء الفشل على محور دمشق - القاهرة، أو فشل تنسيق الجهود الإسلامية بين الشام ومصر، بدأ أمير دمشق «طغتكين» يحاول عقد تحالف مع حاكم الموصل الجديد «مودود» الذي كان بدوره يحاول تنظيم تحالف إسلامي كبير لطرد الفرنج

من بلاد الشام ومن المنطقة العربية.

وفي نفس الوقت وعلى التوازي مع هذا المسعى من حاكم دمشق وحاكم الموصل، كان العالم الإسلامي قد بدأ يشهد ظاهرة إيجابية، إذ تشكل رأي عام ضاغط يقوده أصحاب الرأي والمفكرون وشيوخ المساجد، بدأ يتساءل عن سبب تخاذل الحكام وأناناتهم وضيق أفقهم الذي ضيق البلاد وأذل العباد (على حد تعبير ابن الأثير).

وأثارت أعداد اللاجئين الهاربين من مذابح الفرنج مشاعر الإستياء والغضب في كل مكان ذهب إليه اللاجئون، كما أدرك المسلمون أن الصليبيين قد جاءوا إلى بلادهم بقصد البقاء، وكانت تلك صدمة نفسية مؤلمة.

وب بدأت الدعوة إلى الجهاد تسري بين الناس في العالم العربي الإسلامي بسرعة كبيرة، بحيث عمت سائر المناطق، وفي رحم هذه الحركة القوية تبلورت اتجاهات المقاومة العربية الإسلامية ضد الصليبيين.

وظهر «عماد الدين زنكي» الذي دانت له الموصل سنة ١١٢٧م / ٥٢١هـ، ليقود حركة الجهاد والمقاومة التي بدأها من قبله «مودود» على محور الموصل / دمشق.

وما لبث «عماد الدين زنكي» أن صار أقوى حاكم مسلم في زمانه لأنه طوع قوته وموارده العسكرية في خدمة المطلب العربي الإسلامي العام، أي الجهاد ضد الغزاه حملة الصليب. ويزرت إمارة الموصل باعتبارها سابقة ومقدمة للدول العسكرية التي يقودها ملك / مقاتل، لكن تتولى مهمة قتال الصليبيين، حتى لمجحت في طرد هم نهائياً من المنطقة العربية بعد فشل كل من الخلافتين العباسية والفااطمية في التصدي لهم، وهذه الدول التي نعنيها هي الدولة الأيوبية ودولة المالك.

وشيئا فشيئا تمكن «عماد الدين زنكي» من التغلب على النعرات الانعزالية في كل من بلاد الشام والعراق. فتمكن سنة ١١٣٧م / ٥٢٢هـ. من ضم مدينة حلب وتوحيدها مع إمارته في الموصل، بعد أن تقرب من أميرها وتزوج ابنته، وكان هذا أمراً في غاية الخطورة على الصليبيين في شمال بلاد الشام لأنه كان يقطع الطريق بين الرها وغيرها من المستوطنات الصليبية، وفي العام التالي استولى على حماه، وتوالت فتوحاته وتوسعته فاستولى على حمص سنة ١١٤٣م / ٥٣٢هـ وبذلك أصبح يسيطر على مساحة كبيرة من الأرض التي تحيط بإمارة الرها التي يحتلها

الصلبيون من ناحية الشرق ومن ناحية الجنوب الغربي.

وصار الطريق مهداً أمامه لتوجيه ضربة قوية للصلبيين، ولكن الذي أبْجَل هذه الضربة ووقف حائلاً دون إقام جهوده لتوحيد الجبهة الإسلامية في مواجهة العدو الصليبي هو حاكم دمشق «معين الدين» الذي رفض دعوات «نور الدين زنكي» المتكررة له لكي يتضمن حلفه الإسلامي وفضل الاحتفاظ بملكه الخاص في دمشق ومحااته الصليبيين، فاستغل نور الدين زنكي تعاطف أهالي دمشق معه ومحاسهم للثأر من الصليبيين، وقام بالزحف على دمشق وحصارها حتى يجبر حاكمها معين الدين على تغيير موقفه، لكن الأخير سارع بطلب الحماية من حاكم بيت المقدس الصليبي، الذي لم يفوت الفرصة وأرسل له جيشاً صليبياً ليشتراك معه في محاربة نور الدين، فأثر نور الدين الانسحاب حتى لا تضيع الدماء الإسلامية في معركة جانبية تبعده عن هدفه، وهو دحر الصليبيين وتحرير بيت المقدس من قبضتهم النجسة.

وبعد أن انسحب من أمام أسوار دمشق، والتقط أنفاسه رحف بجيشه نحو الرها، وبعد حصارها لمدة ثمانية وعشرين يوماً استطاع أن يدخلها ويستولى عليها بعد أن قضى على الصليبيين بها.

وكانت الرها هي أول إمارة صليبية تقوم على أرض الشرق العربي الإسلامي. ويشاء القدر أن تكون هي أول إمارة تتحرر، وكان سقوطها صدمة نفسية مؤلمة وعنيفة للصلبيين، ترددت أصواتها في كل مكان، إذ كانت المدينة ترتبط بتراث المسيحية الباكر، كما أن سقوطها بعد ما يقرب من خمسين عاماً من استيلاء الصليبيين عليها كان نذير شؤم بالنسبة لهم.

وكان القدر كان على موعد مع «عماد الدين زنكي»، وبعد عامين من تحريره إمارة الرها، وبالتحديد سنة ١١٤٦م / ٥٤١هـ قتل غيلاً على يد أحد غلمانه. ويعتبر اغتياله لغزاً كبيراً محيراً، سيما وأنه ظل يحكم الموصل نحو عشرين عاماً متصلة دون أن يتعرض لمحاولة اغتيال واحدة.

هذا وقد خلف «نور الدين محمود» أباًه «عماد الدين زنكي» في إمارة الموصل، ولم يستكِن عن مواصلة هدف توحيد الإمارات الإسلامية في المشرق للقضاء على الكيان الصليبي وتحرير بيت المقدس.

## الحملة الصليبية الثانية

أحدث سقوط إمارة الرها وتحريرها على يد «عماد الدين زنكي» رزاً كبيراً في أوروبا. وفي الشرق - حيث مستوطنات الصليبيين - كان الإحساس بالهزيمة مريضاً، فذهب وقد من فرنج الشرق إلى بلاد البابا «أيجنيوس» الثالث، بعد أن اعتلى العرش البابوي بوقت قصير، كما ذهب وقد آخر من الأرمن يستنهض همم البابوية وملوك الغرب لمحاولة استرداد الرها التي ضاعت منهم.

ونتيجة لتلك المساعي تجمع جيش فرنسي كبير قوامه سبعون ألفاً على رأسه لويس السابع ملك فرنسا، وتجمع جيش ألماني قوامه سبعون ألفاً أيضاً على رأسه إمبراطور المانيا «كونراد» الثالث.

واتخذ الجيشان طريقين مختلفين للوصول إلى المشرق العربي، فالجيش الألماني اتخذ طريق البحر، ورست سفنه على شواطئ آسيا الصغرى، ثم عبر البوسفور، وعلى أرض السلاجقة هاجمه المسلمون وأجبروا قسماً كبيراً منه على العودة، وأضطر الإمبراطور الألماني كونراد الثالث إلى التخفي واستطاع أن يفلت من حصار السلاجقة ويصل إلى بيت المقدس.

أما الجيش الفرنسي فسار بطريق البر حتى وصل إلى القسطنطينية وهناك عرف أن حشوداً إسلامية كبيرة تنتظره في إمارة الرها، فالفتف حولها، متجنباً الصدام مع تلك الحشود، وفضل التقدم نحو بيت المقدس.

وفي بيت المقدس اتفق كل من الملك الفرنسي والإمبراطور الألماني مع «بلدوين» الثالث ملك بيت المقدس على التوجه نحو دمشق واحتلالها - على الرغم من أنه كان هناك حلفاً معقوداً في ذلك الوقت بين أمير دمشق «معين الدين» وبين الصليبيين على الألا يهاجموا دمشق نظير جزية سنوية يدفعها لهم.

وهكذا حاصر الصليبيون مدينة دمشق، التي كانت بالغة القوة والتحصين، وفي نفس الوقت سارعت قوات إسلامية كثيرة الإنقاذ دمشق وفك الحصار المضروب حولها، مما أضطر الجيوش الصليبية إلى التقهقر والانسحاب ليتفادوا معركة دموية كبرى لم تكن في حسابهم.

وهكذا فشلت الحملة الصليبية الثانية التي كان هدفها استرداد إمارة الرها، وانسحبت جيوش الصليبيين إلى أوروبا وهي تشعر بمرارة الخزي والهزيمة.

هذا وقد استغرقت أحداث الحملة الصليبية الثانية الفترة من أواخر سنة ١١٤٧ م / ٥٣٢ هـ إلى أوائل سنتين ١١٤٩ م / ٥٣٤ هـ.

## **الأوضاع بعد الحملة الصليبية الثانية ومقدمات معركة حطين وحرير بيت المقدس**

كان من نتائج فشل الحملة الصليبية الثانية، أن خضعت مدينة دمشق لسيطرة «نور الدين محمود» وانضمماها إلى جبهة الجهاد ضد الصليبيين، فمثلاً كان «معين الدين» حاكم دمشق يمثل عقبةً كثيرةً في وجه محاولات «عماد الدين زنكي» المستمرة لتوحيد الجبهة العربية الإسلامية، كان «مجير الدين» الذي خلف أبيه معين الدين في حكم دمشق يمثل نفس العقبة، إلى انكسر الصليبيون وباءت حملتهم الثانية بالفشل.

وبالتتحديد سنة ١١٥٤ م / ٥٤٩ هـ نجح «نور الدين محمود» في دخول دمشق بناء على رغبة أهلها الذين سئموا ظلم حاكمهم مجير الدين وسياسته المهدنة للصليبيين.

وهكذا توحدت الجبهة الإسلامية تحت قيادة نور الدين محمود، وبسبب عدائه هذه الجبهة والهجمات المستمرة التي كانت تشنها على مستوطنات الصليبيين، اتجهت الانتظار نحو مصر، التي كانت آنذاك تعاني ضعفاً سياسياً شديداً، إذ كانت الخلافة الفاطمية في الطور الأخير من عمرها، عارية إلا من بعض ظلال قوتها السابقة ومجدها الغابر، بعد أن أنهكتها الكوارث الطبيعية والمنازعات الداخلية.

ومنذ وزارة «بدر الدين الجمالى» صار الوزراء في الدولة الفاطمية أصحاب السلطة الحقيقة وأصبح الخلفاء العرب يأيديهم، كما توالى جلوسهم على كرسى الحكم في إيقاع سريع يدل على مدى الاضطراب والتدهور الذي وصل إليه حال الدولة.

لقد كانت الدولة الفاطمية - آنذاك - أشبه بالرجل المريض الذي يتضرر الجميع نهايته حتى ينال كل منهم من إرثه شيئاً، ولما كانت مصر بمواردها البشرية والاقتصادية الكبيرة كفيلة بترجيح كفة من يستولى عليها أو يضمها إلى جانبه في الصراع، لذلك آثر كل من نور الدين محمود - رأس القرى العربية والإسلامية -

والصليبيين، عدم انتظار نهاية الدولة الفاطمية ويبادر بوضع ملامح تلك النهاية بيده. لذلك بدأ «بلدوين» الثالث سنة ١١٥٠ م / ٥٤٥ هـ في إصلاح تحصينات غزة استعداداً للهجوم على مصر، وتكون سنة ١١٥٣ / ٥٤٨ هـ من الاستيلاء على عسقلان.

وبهذا دان الساحل الفلسطيني كله للصليبيين لأول مرة بعد نصف قرن من حملتهم الأولى على المشرق.

وبالاستيلاء على عسقلان تم موازنة الهزائم التي تلقاها الصليبيون في الجبهة الشمالية بالانتصار الذي حققه ضد الدولة الفاطمية المهاوية في الجنوب.

وحيث مات «بلدوين الثالث» في ١٠ فبراير سنة ١١٦٣ م / ٥٥٨ هـ كان واضحاً أن سياسته الخارجية التي قامت على أساس غزو مصر لن تتوقف، فسياسة خليفته «أمالريك» الأول أو (عموري) حاكم بيت المقدس كانت في حقيقة أمرها عباره عن سلسلة متصلة من المحاولات الدؤوبة لفتح مصر، وكانت الظروف تختتم تلك السياسة، إذ أن اتحاد حلب ودمشق تحت راية نور الدين محمود جعل غزو مصر هو الخل الوحد لنجاة الصليبيين، إذ أدرك «عموري» أن سقوط مصر الفاطمية في يد نور الدين محمود سيجعل الدوليات الصليبية بين شقى رحمي.

وهكذا كان كل من: نور الدين محمود وعموري، على أهبة الاستعداد لبدء السباق الذي جائزة الفوز به: مصر، بواردها الاقتصادية والبشرية الهائلة.

وأخيراً سُنحت الفرصة لتدخل الجانين، عندما نشب صراع على منصب الوزارة في مصر بين كل من شاور حاكم الصعيد، وضرغام حاجب الخليفة وذلك إبان حكم الخليفة العاخص لدين الله - آخر خلفاء الفاطميين والذين زالت في عهده دولتهم - فوجد الملك الصليبي (عموري) في الفوضى الضاربة في مصر آنذاك فرصة جيدة للهجوم عليها بحجة عدم دفع الجزية التي كانت مقررة على مصر للصليبيين في عهد سلفه بلدوين الثالث.

وفي سنة ١١٦٣ م / ٥٥٨ هـ، كانت قوات الملك الصليبي تعبر بربخ السويس، ثم تناصر مدينة بليس. ولكن ضرغام (الذى كان منفرداً بسلطة الحكم آنذاك بعد فرار غريمه شاور وجلوته إلى نور الدين محمود بالشام) تصدى لهم وقطع جسور

النيل، بحيث شكلت مياه الفيضان وأحوال الدلتا عائقاً رهيباً لهم حال دون تقدمهم وجعلهم يتقهرون عائدين إلى فلسطين.

في نفس تلك الأثناء كان «شاور» قد اتفق مع نور الدين محمود على أن يشن الأخير حملة عسكرية يستعيد بها كرسى الوزارة الذى ضاع منه فى القاهرة، والتزم بأن يتحمل نفقات الحملة وأن يتنازل له عن بعض مناطق الحدود ويعرف له بالسلطة على مصر بجانب سلطته على الشام، ويرسل له سنوياً ثلث الموارد المصرية.

ووجد نور الدين محمود فى عرض «شاور» الفرصة التى كان يتحينها لضم مصر وتوحيد القوى العربية والإسلامية بشكل كامل ونهائى، فأرسل مع شاور حملة عسكرية بقيادة أحد قادته الأفذاذ وهو «أسد الدين شيركوه» وبرفقة ابن أخيه الشاب ذو السبعة والعشرين عاماً «صلاح الدين الأيوبي» الذى جعلته الأقدار خلفاً لنور الدين محمود فى قيادة الجihad ضد الصليبيين والانتصار عليهم انتصاراً كبيراً فى «خطين». كما سيأتي الكلام بتفصيل عنه.

وبالطبع لم تكن أنباء الاتفاق الذى تم بين الوزير الفاطمى وبين نور الدين محمود لتخفى عن «ضرغام» الذى حركته شهوة السلطة والأنانية السياسية، فسارع إلى طلب النجدة من الصليبيين، فتحركت على الفور حملة صليبية بقيادة «عموري» إلى مصر. وكانت تلك إحدى خمس محاولات حاول فيها هذا الملك الصليبي غزو مصر - خلال ست سنوات متالية - ولم يفلح فى واحدة منها.

ولقد أعقب محاولات «عموري» الفاشلة تلك ضد مصر تراجعت هامتين:

أولاً: تقلص الموارد البشرية والمادية لمملكة بيت المقدس الصليبية.

ثانياً : تغير الخريطة السياسية لصالح القوى العربية والإسلامية بعدما قتل كل من شاور وضرغام (الوزيرين الفاطميين) فى خضم الصراع، وبعدما تولى أسد الدين شيركوه كرسى وزارة الخليفة العاضد لدين الله، ثم موت أسد الدين وتولى ابن أخيه صلاح الدين الوزارة، الذى أثبتت الأحداث بعد ذلك أنه بطل تلك الحقبة الخرجية فى تاريخ المنطقة العربية، وأن وزارته فى خدمة العاضد (آخر الفاطميين) كانت بثابة فترة انتقالية أو تمهدية لتألق نجمة.

في تلك الأثناء، كانت راية نور الدين محمود ترفرف على دولة متسعة الأرجاء فيها خمس عواصم: دمشق، والرها وحلب، والموصى، والقاهرة. وكان نور الدين يلح على صلاح الدين الأيوبي في مصر لاتخاذ الخطوات الحاسمة وإعلان نهاية الخلافة الفاطمية، حتى تعود مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية، وكان صلاح الدين يتحين الفرصة، إلى أن واته تلك الفرصة أثناء مرض الخليفة الفاطمي، فاستبدل في خطبة أول جمعه من سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م اسم الخليفة الفاطمي باسم الخليفة العباسى، وبعد ذلك بأسبوع واحد مات الخليفة الفاطمى دون أن يدرى أن دولة آبائه وأجداده قد زالت من الوجود، وأن التاريخ قد كتبه فى سجلاته كآخر الفاطميين فى مصر.

وجاء انفراد صلاح الدين الأيوبي بالسلطة فى مصر - كما قلنا سابقاً، مقدمة لمرحلة حاسمة من مراحل الصراع ضد الصليبيين، إذ أن مصر بمواردها الهائلة وامكانياتها جعلت قامته السياسية أكثر طولاً. ثم جاءت وفاة نور الدين محمود فى شوال سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م وبعدها موت عدو اللدود عموري ملك بيت المقدس فى نفس السنة، فرصة طيبة لكي يوحّد الجهود العربية ويؤكد رعامته للعالم الإسلامي.

وكانت الخطوة الضرورية لتأكيد تلك الزعامة تتطلب منه أن يعالج فى حزم ورثانة ما نجم عن وفاة نور الدين محمود من منازعات وصراعات.

وبعد عدة تطورات سياسية أعلن صلاح الدين الأيوبي نفسه ملكاً على مصر والشام بباركة الخليفة العباسى سنة ١١٧٥هـ / ٥٧٠م، ثم قضى نحو ست سنوات لترتيب الأوضاع الداخلية في كل من مصر والشام استعداداً للمواجهة مع الصليبيين، في الوقت الذي كان حريصاً فيه على تجنب المواجهة معهم على مستوى كبير. فبدأ بالتخلص من السودانيين الذين كان الفاطميون يستجلبونهم لحماية دولتهم، وكان عددهم يقترب من الخمسين ألف. كانوا يتآمرون عليه ويسبون كثيراً من القلاقل، فطاردهم حتى جنوب بلاد النوبة، وهناك أقام حامية مصرية لراقبتهم ومنعهم من العودة. ثم أرسل شقيقه الأمير «شمس الدين توران شاه» على رأس حملة عسكرية كبيرة إلى اليمن، فتمكن من مد سلطانه ونفوذه

هناك، بعد أن وحد قبائل اليمن على مذهب ومذهب الخلافة العباسية السنى - وكان ذلك في سنة ١١٧٣ م / ٥٦٩ هـ. بعد ذلك شرع في بناء سور ضخم حول مدينة القاهرة ليكفل لها حماية كافية في وجه أي غزو صليبي محتمل. وقد جاء موقع ذلك السور خلف سور القاهرة الذي كان «جوهر الصقلبي» قائد «المعز لدين الله» الفاطمى قد بناه، وكان ذلك السور قد تهالك ودمرت أجزاء كثيرة منه. ودعم صلاح الدين هذا السور الجديد بأبواب عالية سميكه مصفحة بالحديد، بلغ عددها خمسة عشر بابا. وبعد الانتهاء من بناء السور - الذى ما زالت بقائه موجودة حتى الآن - شرع مهندس إنشاءاته «بهاء الدين قرافوش» في بناء قلعة ضخمة بسفوح جبل المقطم ليدير منها دفة الحكم وتساهم كذلك في حماية القاهرة.

في تلك الأثناء التي كان صلاح الدين يرتب فيها البيت قام الصليبيون بعدة غارات عبر شبه جزيرة سيناء، ووصلت قواتهم حتى بحيرات منطقة السويس (البردوليل حاليا) كما شنوا غارات أخرى على شبه الجزيرة العربية، وحاول «رينالد دي شاتيون» أمير الكرك (جنوب الأردن) أن يقتحم البحر الأحمر ويغزو مكة والمدينة، لكنه يتحكم في حركة التجارة الدولية التي تقر بالبحر الأحمر، كما هاجم بعض موانئ مصر والحجارة، ولكن الإسطول المصرى واجهه وسحقه تماماً ورده على أعقابه خائباً.

وهكذا وجد صلاح الدين الأيوبي مبرراً قوياً لبدء عملياته ضد الصليبيين، وكانت قمة انتصاراته على الفرنج في موقعة حطين، الواقعة إلى الغرب من بحيرة طبرية وإلى الشرق من مدinetى عكا وحيفا. وقد جرت تلك الموقعة يوم ٢٤ من شهر ربيع الثاني ٥٨٢ هـ / ٤ يوليه سنة ١١٨٧ م. وكان من نتائجها أن فقدت علامة بيت المقدس قواتها العسكرية الرئيسية، صحيح أن كوارث سابقة وقعت للصلبيين في المنطقة العربية، وقتل بعض أمرائهم وأسر بعضهم الآخر، إلا أن ما حدث لهم في حطين كان أخطر من ذلك بكثير، حيث تمكّن جيش المسلمين بقيادة صلاح الدين من إبادة جيش الصليبيين إبادة تامة، ولم يبق منهم حياً إلا مائة وخمسين صليبياً ثم أسرهم جميعاً بما فيهم كبار القادة والأمراء.

وعلى مدى شهرين، بعد حطين، أخذت الجيوش الإسلامية تدخل المدن

والقلاع التي كان يحتلها الصليبيون، حتى لقد بلغ ما تم تحريره منها نحو خمسين موقعاً ما بين مدينة وقرية وقلعة حصينة.

ومع ذلك - ورغم كل هذه الانتصارات الباهرة إلا أن هدف صلاح الدين الأيوبي، وما عاهد المسلمين عليه، كان تحرير بيت المقدس.

ولهذا سار صلاح الدين بجيشه نحو القدس الشريف وحاصرها لمدة أسبوع حتى استسلمت له فدخلتها يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ .

يقول ابن شداد.. في كتابه: سيرة صلاح الدين: لما دخل صلاح الدين القدس بعد أن يسرّ الله فتحها أعطى أهلها الأمان في مقابل أن يدفعوا عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأة خمسة دنانير وعن كل طفل ديناراً واحداً. ويبلغ ما تم جمعه نحو مائتين وعشرين ألف دينار. ومن عجز عن الدفع اعتبر أسيراً. وحرر صلاح الدين ثلاثة آلاف مسلم كانوا أسرى لدى الفرنج».

وقد أردنا أن نورد ما قاله ابن شداد، ليقارن القاريء ما فعله صلاح الدين عندما دخل القدس، بما فعله الصليبيون عندما دخلوها، فهو لم يسفك فيها دماً ولم يزهق روحًا، كما فعلوا حين سفكوا دم عشرة آلاف من أهلها عندما دخلوها، كل ما فعله صلاح الدين، عندما طلبت حاميتها الأمان واستسلمت أن فرض عليهم فدية رهيدة حتى لا يُعتبروا أسرى.

\*\*\*\*\*

### **الحملة الصليبية الثالثة**

بعد موقعة حطين لم يتبق بآيدي الصليبيين سوى صور وانطاكيه وطرابلس وبعض القلاع والمحصون المتناثرة هنا وهناك على أرض الشام.

وبعد ضياع القدس من بين أيديهم، ذهب كبير أساقفة صور في جولة زار فيها بلاد عدد كبير من ملوك وأمراء الغرب الأوروبي لكي يستجد بهم ويستنهض همهم لكي يحملوا على الشرق العربي الإسلامي.

وقام البابا «جريجورى» الثامن - الذى لم يستمر في كرسى البابوية أكثر من شهرين - بإرسال خطاب بابوى «لكل المؤمنين فى الغرب»! ذكرهم فيه بأن فقدان الرها قبل أربعين سنة كان يجب أن يكون نذيرًا لهم، كما وعدهم بغفران كامل لخطاياهم إذا شاركوا في حملة صليبية جديدة، وفرض صياماً في كل يوم جمعه على مدى خمس سنوات كاملة، والامتناع عن أكل اللحوم في أيام السبت والأربعاء حتى يستردوا بيت المقدس. ولما مات البابا «جريجورى» الثامن واصل خليفته البابا «كليمانت» الثالث مهمة الاتصال بملوك أوروبا وفرض ضريبة مقدارها 1٪ على كل دخل وعلى الأموال المنقوله سماها: عشر صلاح الدين، لتمويل الحملة الصليبية الجديدة.

واستجابة للدعوة البابا عدد من ملوك أوروبا على رأسهم: الإمبراطور الألماني «فردرىك بارباروسا» الأول، و«ريتشارد» الأول ملك إنجلترا والذي كان يلقب بقلب الأسد، و«فيليب» الثاني ملك فرنسا.

وفي 11 مايو سنة 1189/585هـ تحركت قوات الإمبراطور الألماني فردرىك بارباروسا وسار عبر الطريق البرى الذى سارت عليه الحملتين السابقتين، ولكن الإمبراطور لقى حتفه غريقاً في أحد أنهار آسيا الصغرى وذلك في 10 يونيو سنة 1190م/586هـ وكانت تلك خسارة فارحة لحقت بالجيش الصليبي قبل أن يصل إلى هدفه، وانتهى أمر الألمان بعد موت امبراطورهم بالمشاركة الرمزية في تلك الحملة.

أما «ريتشارد» الأول ملك إنجلترا و«فيليب أوغسطس» ملك فرنسا فقد وصلا

بقواتهما إلى صقلية بطريقين بحريين مختلفين وأمضيا شتاء ١١٩٠ / ١١٩١ م في نزاع حول الأمور الداخلية في صقلية، وبعد ذلك أبحرا تجاه فلسطين حيث وصلوا إلى مدينة صور الساحلية - التي كانت ما تزال بأيدي الصليبيين، ثم بدأ مسيرهما نحو عكا وحاصرت قواتهما المدينة حصاراً طويلاً إمتد نحو عامين إلى أن سقطت في أيديهم سنة ١١٩١ م / ٥٨٧ هـ بعد أن دافع عنها أهلها دفاعاً مستيناً.

وبعد الاستيلاء على عكا، رحفل الصليبيون على ما جاورها من موانئ المسلمين على البحر المتوسط واستولوا عليها.

بعد ذلك دخل الصليبيون في مفاوضات مع صلاح الدين الأيوبى انتهت بعقد صلح الرملة سنة ١١٩٢ م / ٥٨٨ هـ وبمقتضى هذا الصلح خضعت المساحة الواقعة على ساحل البحر المتوسط ما بين مدینتی صور ويافا للنفوذ الصليبي، بينما استمر صلاح الدين وقواته مسيطرین على كافة المناطق الأخرى التي كان المسلمون قد حررروها بما في ذلك القدس مع السماح بحرية النصارى في زيارة الأماكن المقدسة في المدينة.

وهكذا كان حصار الحملة الصليبية هزيلًا بالقدر الذي خيب آمال الأوروبيين والفرنج القسميين تحت سماء الشرق العربي.

وسرعان ما تحولت الأمال الكبار التي عقدت على هذه الحملة إلى احباط، واتهامات حادة تبادلها زعماء الصليبيين.

أما صلاح الدين فقد مكث شهوراً قليلاً في بيت المقدس ثم اتجه إلى دمشق حيث انتقل إلى جوار ربه في ٢٧ صفر ٥٨٩ هـ / ٤ مارس ١١٩٣ م.

وبوفاة صلاح الدين الأيوبى توارت عن مسرح التاريخ شخصية ظلت ملء العين وموضع الإعجاب والهيبة من جميع معاصرية، أعداء كانوا أم حلفاء.

ولكن الظروف التاريخية التي أنجبته لقيادة الأمة كانت لا تزال قائمة، فالصليبيون كانوا مازالوا موجودين فوق أرض الشام، كما أن خطط قدوم حملات صليبية جديدة كان لا يزال قائماً.

وفي ظل هذه الظروف جاء خلفاء صلاح الدين الأيوبى على غير شاكلته، إذ

أدت وفاته إلى تفسخ دولته في الحال إلى قطع صغيرة يتشارع عليها الورثة من أبناء البيت الأيوبي. وكان التوتر الذي ساد العلاقات بين الورثة الأيوبيين نعمة على بقايا الوجود الصليبي الذي كان يحتل حيزاً ضيقاً من أرض فلسطين ولبنان الحالية، ويتد بحذاء الساحل من بيروت حتى يافا، وتمتعت مملكة بيت المقدس الوهمية التي صارت عاصمتها عكا، بفترة سلام قاربت العشر سنوات، وهي فترة كانت كافية لأن يلتقط الصليبيون أنفاسهم بعد الأحداث المروعة التي مرت بهم. وكان واضحاً أن قوات الصليبيين في بلاد الشام لم تكن نداً للمسلمين، ومن ثم انعقدت آمالهم على قدوم حملة صليبية جديدة من أوروبا لنجدهم.

\*\*\*\*\*

## الحملة الصليبية الرابعة

في السنة التي تولى فيها السلطان «العادل» الأيوبى منصب السلطنة الأيوبية في القاهرة، أى سنة ١٢٠٠ م / ٥٩٦ هـ، كانت فكرة الاستيلاء على بيت المقدس وضرب مصر لا تزال تشغله بال الأوروبيين.

وحين رأى الصليبيون أن السلطان «العادل» يفرض نوعاً من الوحدة على أبناء البيت الأيوبى خافوا أن يعودوا إلى الموقف المرعب الذى عانوا منه كثيراً على أيام صلاح الدين الأيوبى.

وادرك البابا والغرب الأوروبي والصليبيون في الشرق أن الاستيلاء على مصر هو الخطوة المنطقية والضرورية لتأمين وجودهم في بلاد الشام. وبيات غزو مصر حتمياً لضمان استرداد ما حررته صلاح الدين من أراضي مملكة بيت المقدس، بل وبيت المقدس ذاته.

وهكذا أخذ البابا «إنوسنت» الثالث على عاتقه مهمة الدعوة إلى حملة صليبية جديدة يكون هدفها مصر.

وبدأت الاستعدادات لتجميع الحملة الجديدة، بيد أن مشكلة نقل القوات والعتاد الحربي إلى الشواطئ المصرية فرضت على قادة الصليبيين أن يدخلوا في مفاوضات مع جمهورية البندقية التجارية التي كانت تملك أقوى وأكبر الأساطيل العاملة في البحر المتوسط. وقت المفاوضات، وتوجهت جيوش الصليبيين إلى البندقية لكي تنقلهم سفنها إلى شواطئ مصر - كان ذلك سنة ١٢٠١ م / ٥٩٧ هـ لكنهم بعد سنة من هذا التاريخ كانوا يفرضون حصارهم على القدسية العاصمة المسيحية بدلاً من القاهرة العاصمة الإسلامية. ثم اقتحموها وسلبوها ونهبوا وقتلوا أهلها المسيحيين على مدى ثلاثة أيام مرعبة. ثم أرسوا بها دعائم دولة جديدة تكون بديلاً للإمبراطورية البيزنطية وعقدوا مع حاكمها الجديد معاهدة فصلوا بنودها حسب أهوائهم.. وبذلك أو عند هذا الحد انتهت تلك الحملة الصليبية الرابعة بعد أن نسي قادتهم هدفهم الأصلى وهو غزو مصر.

ومع أن البابا «إنوسنت» الثالث أدان انحراف الحملة عن هدفها المحدد لها، إلا

أنه سرعان ما تراجع عن ادانته وابتلع احتجاجه حين رأى إن سقوط القسطنطينية عاصمة البيزنطيين تحت سنابك الخيول الصليبية (الأوروبية الغربية) يمكن أن يتحقق أمل البابوية القديم في السيطرة على الكنيسة البيزنطية وانخضاعها لسلطة البابا وكنيسته في الفاتيكان.

إلا أن بعض الصليبيين الذين لم يوافقوا على الإغارة على العاصمة البيزنطية وتغيير هدف الحملة، واصلوا مسيرهم حتى شواطئ الشام، وهناك تعاونوا مع الصليبيين المستوطنين وشنوا هجوماً هزيلًا على مدينة رشيد المصرية ومدينة فوه القريبة منها، ولم يتجاوز هجومهم ذاك أكثر من خمسة أيام، عادوا بعده خائبين إلى عكا، كان ذلك سنة ١٢٠٤ م / ٦٠٠ هـ.

وفي عكا سرعان ما أدرك الصليبيون استحاله قدوم حملة صليبية أخرى لنجدتهم، ومن ثم سعى ملك عكا لعقد هدنة مع السلطان العادل الأيوبي الذي رحب بعقدها، على اعتبار أن الهدنة والسلم الذي يسود زמנה سيجعل التجارة تزدهر ويتحقق من ورائها مكاسب كثيرة، كما أن الهدنة ستتمكنه من القضاء على متاعبه الداخلية ونزاعه مع بقية الأيوبيين.

وهكذا عقدت الهدنة لمدة ست سنوات إبتداء من آخر سنة ١٢٠٤ م / ٦٠٠ هـ.

وإذا كان المؤرخين الغربيين لا يعتبرون تلك الحملة الرابعة ضمن الحملات أو الحروب الصليبية، إلا أنها تعتبرها كذلك ارتباطاً بالهدف الذي خرج من أجله الصليبيين وهو غزو مصر.

## حملة الأطفال الصليبية

من وسط الجو المشحون بالعواطف الدينية والذى كان يسود غرب أوربا، وبعد الحملة الصليبية الرابعة التى باءت بالفشل الذريع، خرج صبي فرنسي فى الثانية عشرة من عمره اسمه «ستيفن» من مدينة كلوي الصغيرة فى إقليم أوليانز، وظهر هذا الصبي أمام بلاط الملك الفرنسي «فيليب أوغسطس» فى سان دونى ومعه خطاب، وقال إن المسيح شخصياً أعطاوه له لكي يوصله للملك، وزعم «ستيفن» أن العناية الإلهية اختارته لقيادة حملة من الأطفال ليستردوا مدينة القدس، بعد أن فشل الملوك والأمراء والبابا وكل الكبار فى استعادتها بسبب ذنوبهم وآثامهم.

واجتذب «ستيفن» بضع مئات من الأطفال من باريس ومن غيرها من أقاليم فرنسا، وتجمع حول الموكب عدد من صغار القساوسة. وسار موكب حملة الأطفال الصليبية حتى مرسيليا فى انتظار أن ينشق البحر أمامهم بمعجزة كتلك التى حدثت لنبي اليهود موسى عليه السلام. ثم جاءت سفن ونقلت عدداً كبيراً منهم إلى جهة مجهولة.

ويبدو أن أطفال ألمانيا أحسوا بالغيرة حين وصلت أنباء حملة «ستيفن» إلى حوض الراين، فخرجت من ألمانيا بعد أسبوع قليل من رحيل ستيفن حملة أطفال أخرى يقودها صبي اسمه «نيقولا».

وانطلق موكبهم العجيب من مدينة «كولون» وسار عبر جبال الألب فى إيطاليا، وهناك انقسم إلى قسمين: قسم ركب السفن من ميناء بيزا، والقسم الآخر وصل إلى ميناء برنديزى. وعلى أرض إيطاليا تختلفت أعداد كبيرة من أولئك الأطفال بسبب الجوع والبرد أو الخوف من ركوب البحر. أما الذين رحلوا بالفعل فإن أحداً لم يعرف أبداً ماذا جرى لهم على وجه اليقين.

\*\*\*\*\*

## الحملة الصليبية الخامسة

لم تمنع حملة الأطفال بالطبع دون أعداد حملة صليبية جديدة ضد مصر، بل ربما كانت حافزاً لها.

والذى طلب تلك الحملة هذه المرة وكان ملحاً في طلبه: «يوحنا بربين» الذى تزوج «ماريا» وريثة مملكة عكا، وصار ملكاً على الصليبيين فى فلسطين وذلك سنة ١٢١٠م / ٦٤٧هـ.

واستجابة لطلبه بالطبع البابا «أنوسنت الثالث» فأخذ يدعى حملة صليبية جديدة فى أنحاء الغرب الأوروبي، ولكنه مات سنة ١٢١٦م / ٦٤٣هـ قبل أن تجتمع تلك الحملة. وخلفه على العرش البابوى «هونوريوس الثالث» ليواصل نفس المسعى والهدف.

كان هدف تلك الحملة مصر، وكانت هناك أسباب عديدة تجعل الصليبيين يقررون التزول بقواتهم فى دلتا النيل بدلاً من ساحل فلسطين. أولها رغبة المدن التجارية الإيطالية (المول الرئيسي للحملة) فى السيطرة على تجارة المتوسط، وضرب المنافسة المصرية فى عقر دارها بالسيطرة على ميناء دمياط، أهم موانىء شرق المتوسط آنذاك، وثانى هذه الأسباب عسكري، وهو أن هزيمة مصر، أو تحييدها على الأقل، خير ضمان لبقاء المستوطنات الصليبية فى أمان. وهناك بالإضافة إلى ذلك سبب نفسي أو معنوى، وهو استرداد الشرف العسكرى الذى تلطخ فى وحل «حطين» على يد «صلاح الدين».

بدأت قوات تلك الحملة فى الوصول تباعاً إلى عكا، وفي أوائل نوفمبر سنة ١٢١٧م / ٦٤٥هـ خرج الصليبيون من عكا لكي يشنوا هجوماً مباغتاً ضد مصر فى جيش ضخم لم تشهد بلاد الشام مثله منذ الحملة الصليبية الثالثة. إلا أن فوضى القيادة فى الجيش الصليبي الضخم جعلته عاجزاً عن القيام بأية عمليات عسكرية حقيقية، وسرعان ما عاد الجيش إلى أسوار عكا لكي يحتمى بها، وظل هادئاً حتى إبريل سنة ١٢١٨م / ٦٤٥هـ، حين وفدت قوات صليبية جديدة من أوروبا. فقرر مجلس الحرب الصليبي الذى اجتمع فى عكا مهاجمة دمياط على دلتا النيل، وعند

نهاية شهر مايو سنة ١٢١٨م / ٦١٥هـ وصلت القوات الصليبية إلى ساحل دمياط على البحر المتوسط. وخرج «الكامل» أكبر أبناء الملك «العادل» الأيوبي وولي عهده للدفاع عن دمياط ضد الصليبيين الذين كانوا قد أقاموا معسكراً لهم على الشاطئ الغربي للنيل وأحاطوه بخندق يمنع المصريين من الوصول إليهم. وظل الوضع متجمداً قرابة أربعة شهور حتى امتلك الصليبيون برج السلسلة على الشاطئ الديمياطي. وببدأ المصريون يقاتلونهم في البر وفي النيل، إلى أن توفي الملك «العادل» في جمادى الآخرة ١٢١٨م / ٦١٥هـ، وعاد «الكامل» من دمياط ليواجه في القاهرة مؤامرة انقلاب دبرها أحد الأمراء ضده. وتفرقت جموع المدافعين عن دمياط فسقطت بأيدي الصليبيين في ٢٧ شعبان سنة ٦١٦هـ - ٥ نوفمبر سنة ١٢١٩م.

وتجدر بالذكر أنه قبل سقوط المدينة، وفي أثناء حصارها، كان السلطان الكامل قد انتابه اليأس من امكانية صمود دمياط، فأرسل يفاوض الصليبيين للجلاء عن مصر في مقابل تنازله عن بيت المقدس - الذي كان ضمن حدود دولة الأيوبيين آنذاك - ويأخذوا وسط فلسطين والجليل، ويدفع لهم جزية عن الحصون التي تبقى بأيدي المصريين، ورغم أن العرض الذي عرضه الملك الكامل الأيوبي كان سخياً، إلا أن المتذوب البابوي - المرافق للحملة - وقاده الحملة المتغطرسين الذين كانوا يريدون القاهرة بعد دمياط، بالإضافة إلى التجار الإيطاليين الذين كانوا المصدر الأساسي لتمويل الحملة وكانوا يريدون الاستيلاء على دمياط لتكون مركزاً تجارياً لهم إلى جانب مراكزهم التجارية المنتشرة في البحر المتوسط. كل هؤلاء رفضوا ما عرضه الملك الكامل، وواحد فقط من بينهم كان يقبل عرض الملك الكامل ويرغب في التفاوض هو «يوحنا برين» ملك الصليبيين في فلسطين.

وعلى مدى ثمانية عشر شهراً كاملة، جمد الصليبيون نشاطهم في دمياط حتى وصلت قوات إضافية من أوروبا ومن عكا، فبدأوا يزحفون جنوباً حتى مدينة فارسكور - وذلك في منتصف شهر يوليه سنة ١٢٢١م / ٦١٨هـ وهو وقت فيضان النيل السنوي الذي يشتد في شهر أغسطس - وزحفت قوات الجيش المصري لكي تحاصر الصليبيين قرب المنزلة. ثم بدأ فيضان النيل وفتحت الجسور فأغرقت كل

الطرق أمام الجيش الصليبي المحاصر. وعلى صفحة نهر النيل كانت سفن البحرية المصرية تستولى على سفن العدو ومعداته الحربية، وتقتل وتأسر ما لا حصر له من الصليبيين الذين اضطروا إلى التقهقر والانسحاب إلى دمياط ومنها عادوا إلى عكا.

وهكذا غرت أحلام الصليبيين بالاستيلاء على مصر في أوحال الدنيا ووسط أمواج النيل الهدأة، ودخلت القوات المصرية دمياط بعد أن دحرت آخر الصليبيين بها في التاسع من شهر رجب سنة ٦١٨هـ / سبتمبر ١٢٢١م.

\*\*\*\*\*

## الحملة الصليبية السادسة

كانت الحملة ضد دمياط آخر محاولات البابوية لتوجيه حملة صليبية تحت قيادتها فقط وحسابها منفردة.

ومن ناحية أخرى فإن الحملات الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي اتخذت طابعاً مختلفاً عن حملات القرن السابق عليه. فالحملة الثانية كانت قد جاءت رد فعل لسقوط إمارة الرها سنة ١١٤٤هـ على يد «عماد الدين زنكي»، كما أن الحملة الثالثة كانت استجابة للكارثة التي حاقت بالصلبيين بعد معركة حطين وسقوط بيت المقدس سنة ١١٨٧هـ على يد «صلاح الدين الأيوبي».

أما حملات القرن الثالث عشر فكانت نتيجة الضعف الدائم الذي ألم بالمستوطنات الصليبية التي زرعت في الشرق، ولم تبرأ منه منذ عمليات «صلاح الدين الأيوبي»، على الرغم من أن فرنج الشرق لم يواجهوا أى خطر حقيقي طوال الفترة الأيوبية من بعد صلاح الدين.

وعلى الرغم من أن شواطئ فلسطين شهدت في هذا القرن (الثالث عشر) موجات متلاحقة من الفرسان والغامرين وشواذ الآفاق والباحثين عن الفرص تحت راية الصليب، وعلى الرغم من أن بعض هذه الموجات كانت عاتيه تضم فيالق من الفرسان والمحاربين الأشداء، وبعضها كان أقرب إلى الرذاذ الخفيف، إلا أن هذا المدد المتواصل لم يستطع أن يقدم شيئاً للكيان الصليبي في الشرق، والذي كان يمضي إلى نهايته المحتملة.

ولأن فشل حملة دمياط كان في النهاية ضربة موجعة لهيبة البابوية، فقد أخذ البلاط البابوي يضغط بشدة من أجل شن حملة صليبية جديدة. وكان المرشح لقيادة تلك الحملة هو الإمبراطور الألماني «فرديريك الثاني»، وهذا الفرديريك (الذي كان معروفاً باسم أعيوجية الدنيا) لم يكن صليبياً مثل غيره من ملوك أوروبا الذين قادوا الحملات الصليبية السابقة، فقد ولد وتترعرع في صقلية في ظل مظاهر الحضارة العربية الإسلامية التي كانت مزدهرة آنذاك في تلك الجزيرة ولم يكن

الإسلام بالنسبة له مجرد كتاب أو (قرآن)، كما أن المسلمين لم يكونوا مجرد قوم من الكفار يستحقون الموت - كما هو المفهوم السائد لدى الأوروبيين حينذاك - فقد كان ذلك الامبراطور يكن للMuslimين ودينهم وحضارتهم تقديرًا كبيراً، وكان واسع العلم غزير المعرفة يجيد من لغات الدنيا آنذاك ست لغات: العربية واليونانية واللاتينية والإيطالية والألمانية والفرنسية.

ولكن كيف يكون امبراطور هذا حاله، على رأس حملة صليبية جديدة؟  
في الواقع إن فرديريك الثاني، لما تولى العرش سنة ١٢١٥ م / ٦١٨ هـ، أخذ شارة الصليب (أو رمز قيادة الصليبيين) من البابا «أنومنت الثالث» لكي يضمن تأييده له في عرش الامبراطورية الذي لا يخلو من صراعات ومؤامرات تحاك حوله. كما أن رواجه من يولادنا إينة الملك الصليبي الراحل «يوحنا برين» ملك الصليبيين في فلسطين جعله ملكاً على بيت المقدس ومسئولاً عن صليبيي الشرق، إلا أنه كان عارفاً عن القيام بحملة صليبية، لأن كان يطمح إلى بسط نفوذه على كل إيطاليا بما فيها أملاك البابوية ومدن الشمال التجارية الغنية، ولذلك كان يماطل في الوفاء بندره الصليبي رغم استلامه لشارة الصليب من البابا.  
وكانت هناك مراسلات بين الامبراطور (اعجوبة الدنيا) وبين السلطان الكامل الأيوبي.

وأخيراً قدم الامبراطور إلى فلسطين سنة ١٢٢٨ م / ٦٢٥ هـ ومعه جيش صغير لا يتجاوز عدده ٦٠٠ فارس نقلهم أسطول هزيل. وكان مشهداً درامياً غريباً، ذلك الذي جرى على مسرح التاريخ آنذاك، إذ دعا البابا الغاضب من سلوك الامبراطور أتعجوبة الزمان، إلى شن حرب ضده، بعد أن وقع عليه عقوبة الحرمان الكنسي، بينما كان الامبراطور في فلسطين يؤذى واجبه الصليبي! وكانت أهم نتائج هذه الحملة العجيبة، التي تجنبت القتال وإراقة الدماء، أن عُقدت هدنة مدتها عشر سنوات بين الكامل الأيوبي وفرديريك الثاني، على أساس أن يتسلم الامبراطور مدينة القدس وبيت لحم، وشريطاً من الأرض يصل بين عكا والقدس. ويبقى في حوزة المسلمين المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمناطق الريفية، وفي المقابل يتتعهد فرديريك بمنع أي حملة صليبية من أوروبا طوال فترة العشر سنوات.

وبعد أن توج فرديك الثاني ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية وعاصمتها القدس (بدلاً من عكا) عاد إلى أوروبا في يونيو 1229 م / 626 هـ بمكاسب لم تستطع أي حملة أخرى قبله أن تحققها منذ حملة الصليبيين الأولى في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى .

أما العالم الإسلامي فقد رأى - بحق - أن تلك الهدنة التي عقدها الكامل الأيوبي كارثة حقيقة . وكان رد الفعل الشعبي عنيفاً ضد السلطان، الذي بعث بسفراه إلى كل مكان في العالم الإسلامي ليبرر فعلته النكراء واتفاقه المشين .

\*\*\*\*\*

## الحملة الصليبية السابعة

أناشت فترة هدنة العشر سنوات التي عقدها الكامل الأيوبي مع الامبراطور فردريك فرصة جيدة للصلبيين وزعماء الغرب الأوروبي لكي يستعدوا لجولة عسكرية جديدة ضد المسلمين.

وفي سنة ١٢٣٩ م / ٦٣٥ هـ مات السلطان الكامل، وبعد عدة تقلبات في الأحوال السياسية والصراع على العرش بين الأيوبيين في الشام ومصر، تولى ابنه الصالح نجم الدين أيوب السلطة سنة ١٢٤٠ م / ٦٣٦ هـ.

وكان البابا جريجوري التاسع يستعد لهذا الموقف منذ صيف سنة ١٢٣٩ / ٦٣٥، ولم تلق جهوده المستمرة للتحريض على شن حملة صليبية جديدة استجابة كبيرة سوى في فرنسا، حيث تجمع عدد من نبلائها تحت رعامة «تيالد الشامياني» ملك نافر، وبعد رحلة عاصفة في البحر المتوسط وصلت هذه الحملة إلى عكا في أول سبتمبر من سنة ١٢٣٩ م / ٦٣٥ هـ، وفي غضون أسبوع قليلة تجمع جيش قوامه حوالي ألف فارس صليبي. وفي نوفمبر من السنة نفسها التقى هذا الجيش مع الجيش المصري عند قرية صغيرة بين عسقلان وغزة، ودارت بينهما معركة قاسية كانت الهزيمة فيها من نصيب الصليبيين الذين تفرقوا بين قتيل وأسير.

بعد تلك المعركة تحكم الصالح نجم الدين أيوب من استعادة بيت المقدس وذلك سنة ١٢٤٤ م / ٦٤٢ هـ. وكانت تلك هي الاستعادة الأخيرة لبيت المقدس الذي ظل بيد المسلمين والعرب بعد ذلك حوالي سبعة قرون قبل أن يدخلها جيش أوروبي آخر، وقبل أن يحتلها الصهاينة.

\*\*\*\*\*

## الحملة الصليبية الثامنة

سنة ١٢٤٩ / ٦٤٧ هـ توالت الأنباء عن قرب قدوم حملة جديدة ضد مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا.

وعلى وجه السرعة عاد الملك الصالح من الشام إلى مصر، لكي ينظم وسائل دفاعه ويستعد للمواجهة مع الصليبيين.

وتروى مصادر التاريخ العربية أن الامبراطور فرديريك الثاني - صديق الأيوبيين وعدو البابا اللدود، قد أرسل أحد رجاله متخفيا في زي تاجر إلى الملك الصالح الذي كان مريضاً بدمشق يخبره بالاستعدادات الأوروبية لشن حرب جديدة على مصر.

وفي خريف سنة ١٢٤٨ / ٦٤٦ هـ أبحر الأسطول الصليبي من ميناء مرسيليا الفرنسي إلى قبرص حيث أمضى لويس التاسع فترة من الوقت في انتظار تكامل قواته. وفي مايو سنة ١٢٤٩ / ٦٤٧ هـ أقلعت السفن تجاه الشواطئ المصرية. وفي العشرين من شهر صفر سنة ٦٤٧ هـ / ٤ يونيو ١٢٤٩ م نزل الصليبيون قبالة دمياط، وأمامهم لويس التاسع يخوض مياه البحر الضحلة على الشاطئ، وهو يرفع سيفه ودرعه فوق رأسه، وانسحب المدافعون عن المدينة بسرعة بعد أن ظنوا أن ملكهم المريض قد مات، وفي أعقاب الجنود والفرسان المدافعون عن المدينة فر السكان المذعورين، وهكذا سقطت دمياط دون قتال.

دمياط التي دوخت من قبل قوات الحملة الصليبية الخامسة بمقامتها الشرسة. وما أن تأكد الصليبيون من حقيقة النصر السهل الذي حققوه دون قتال حتى أخذوا يدعمون وجودهم في المدينة الأسرية.

واستقبل السلطان المريض أبناء سقوط المدينة التي بذل جهداً مضيناً في تحصينها بمزيج من الألم والمرارة، وأعدم عدداً من الفرسان الذين هربوا من دمياط، ونقل معسكره إلى مدينة المنصورة التي كانت قد خرجت إلى الوجود قبل ثلاثين سنة فقط. ومن هناك بدأت حرب عصابات ساهم فيها المصريون جمِيعاً،

وكثرت أعداد الأسرى الصليبيين الذين كانت تختطفهم أيادي المجاهدين، وتعددت مواكب الأسرى في شوارع القاهرة. ثم جامت قوات عربية أخرى من بلاد الشام لساندة المصريين. وفي خضم هذه الأحداث توفى الملك الصالح نجم الدين أيوب في يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ٦٤٧هـ / ٢٠ نوفمبر ١٢٤٩م، وأخفت زوجته «شجرة الدر» نبأ وفاته لكي لا تتأثر معنويات المجاهدين، وأرسلت تستدعي على عجل إبنه «توران شاه» من إمارته بالشام.

واشتدت المقاومة المصرية ضد القوات الصليبية التي كانت تتقدم نحو مدينة المنصورة، لكن كان بانتظارهم الأمير «بيبرس البندقداري» - أحد ماليك الصالح نجم الدين الأيوبى وأحد قواده الأفذاذ والذى صار فيما بعد السلطان الظاهر بيبرس - الذى نظم الدفاع عن مدينة المنصورة بشكل جيد، وأخيراً انقض غبار المعركة عن عدد كبير من القتلى الصليبيين، من بينهم عدد من النبلاد، ولم ينجح فى الهرب سوى عدد قليل من الفرسان هربوا على أقدامهم تجاه النيل ليلقوا حتفهم غرقاً فى مياهه.

أما الجيش الصليبي الرئيسي بقيادة الملك لويس التاسع، فكان لا يزال فى الطريق إلى المنصورة، ولا يعلم مصير الطليعة الصليبية التى أرسلها لاقتحامها.

وفي المحرم من سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م دارت رحى معركة رهيبة بالقرب من فارسكور كان نتيجتها القضاء التام على الجيش الصليبي، وأسر لويس التاسع نفسه، الذى تم نقله مكبلاً بالحديد إلى دار القاضى ابن لقمان بالمنصورة، حيث بقى سجيناً به فترة من الزمان حتى أفرج عنه لقاء فدية قدرها ٢٠٠ ألف دينار، وبعد أن أقسم بالآيات العادود الهجوم على مصر.

وقد قتل في تلك الحملة وحدها من الفرنسيين حوالي خمسين ألفاً.

وأخيراً رحل لويس التاسع بعد الفشل الذريع لحملته، ولكنه بدلاً من أن يعود بلاده فرنسا، رحل إلى فلسطين ومكث في عكا أربع سنوات يحاول أن يجمع جيشاً صليبياً جديداً يرد به شرفه المهاجر في المنصورة، ولما فشل في مسعاه عاد خائباً ذليلاً إلى بلاده وذلك سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م.

\*\*\*\*\*

## حملة لويس التاسع على تونس وآخر الحملات

رغم الهزيمة المريدة التي تلقاها لويس التاسع على أيدي المصريين في المنصورة، وما أصابه من خيبة أمل على يد الأمير «بيرس البندقدارى» أبرز حكام دولة المالiks الفتية التي نشأت على انقاض الدولة الأيوبية بعد موت الصالح نجم الدين أيوب، فقد ظل يحلم بحملة صليبية جديدة.

لكنه شعر هذه المرة بأنه لن يستطيع مواجهة المالiks ودولتهم الفتية الناشئة فتوجه بحلمه إلى تونس متصوراً أنه يستطيع غزوها والاستيلاء عليها دون عداء أو مشقة، وبالفعل جهز حملة صليبية جديدة واتجه نحو تونس سنة ٥٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م بعد أن أيده في مسعاه أخيه «شارل إنجو» ملك صقلية، وعندما رست سفنه أمام شاطئ قرطاجنة، وجد أنه سيواجه قوات شديدة الباس من الأعراب إلى جانب جيش السلطان المستنصر سلطان الحفصيين، ولم يكدر يضى على وصوله إلى تونس أيام قليلة حتى أصابته حمى ومات، فعاد جيشه برفاته إلى فرنسا.

**الفصل الثالث**

**تصفيه الوجود الصليبي  
فى الشام والمشرق العربى**



بموت لويس التاسع في تونس، وبعد فشل حملته الصليبية على مصر، انتهت فعلياً الحملات الصليبية، وبعد قيام دولة المماليك القوية في مصر اتجهت جهود سلاطينهم نحو القضاء على بقايا الإمارات الصليبية على سواحل الشام.

وبعدما ثُبت السلطان «الظاهر بيبرس» ملكه على مصر والشام سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، اجتهد في إنشاء قوة بحرية كبيرة جعل مركزها في كل من دمياط والاسكندرية (تلك القوة البحرية التي كان يفقدا المسلمين وكانت نقطة ضعفهم، وتقطة قوة الصليبيين في نفس الوقت). *تمثيل بيبرس لمراحل تسلمه لحكم مصر*  
ثم استعد للتوجه إلى الشام والاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من حصون ومرافع الصليبيين التي كانت ما تزال باقية في بلاد الشام فتمكن من الاستيلاء على قصرين ثم أرسوف في سنتي ٦٦٣هـ/١٢٦٥م و٦٦٤هـ/١٢٦٦م، ثم استولى على صَفَدَ التي كانت مركزاً لأعمال العدون الصليبية على بلاد المسلمين. وسبّبت انتصارات بيبرس هذه الرعب للصلبيين الباقيين بالشام، حتى لقد سارعت الملكة «إيزابيلا» ملكة بيروت إلى عقد هدنة مع بيبرس سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م مدتها عشر سنوات.

وفي نفس هذه السنة استولى السلطان بيبرس على يافا ثم استولى على أنطاكية وكل المدن الداخلة في نطاق إمارتها.

وفي سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م هاجم بيبرس إمارة طرابلس، وبدأ بالاستيلاء على بعض حصونها مثل حصن الأكراد وحصن عكا وعندما تولى السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، استعاد مدينة اللاذقية سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م وكانت آخر المعاقل الصليبية التابعة لإمارة أنطاكيا، ثم بعد ذلك في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م استولى على طرابلس، وهي ثلاثة الإمارات الصليبية في الشام.

وبعد تولي الأشرف خليل عرش السلطة المملوكية خلفاً لأبيه السلطان قلاوون سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، وجه همته إلى القضاء على آخر قواعد الصليبيين في الشام، وهي عكا التي كانت تمثل الميناء الرئيسي للصلبيين في الشام وموطئ قدمهم على ساحل البحر المتوسط، فزحف نحوها وفرض عليها حصاراً لم يدم

أكثر من ثلاث وأربعين يوما سقطت بعدها، بعد أن ظلت أسيرة في أيدي الصليبيين أكثر من مائة سنة.

وبعد عكا سقطت بقية المدن والمعاقل الصليبية تباعاً، وزالت دولة الصليبيين في فلسطين إلى غير رجعة، اللهم إلا إذا اعتبرنا أنهم رجعوا سنة ١٩٤٨ م عندما اغتصب اليهود فلسطين العربية وأعلنوا فيها عن قيام دولتهم إسرائيل، وهذا بالطبع صحيح حيث أن كلاً من الصليبيين الذي وجهوا حملاتهم نحو الشرق العربي الإسلامي، واليهود الصهاينة نوع واحد من الإستعمار الاستيطاني البغيض.

**الفصل الرابع**  
**تصفيّة الوجود الصالبى**  
**فى جزائر البحر المتوسط (قبرص وروdesc)**



رأينا كيف اهتم السلطان الظاهر بيبرس بإنشاء قوة بحرية كبيرة جعل مركزها في دمياط والإسكندرية. وكيف قضى هو ومن بعده السلطان قلاوون وابنه الأشرف خليل على الوجود الصليبي في الشام. ولكن رغم الجهد العظيم التي بذلوها في تصفية كل قواعد الصليبيين بالشام، إلا أنه كانت هناك قاعدتان صليبيتان تشكلان خطراً على الشرق الإسلامي وتهدد أمن المسلمين، وهما جزيرتي قبرص وروادس المواجهتان لسواحل الشام ومصر في البحر المتوسط.. فجزيرة قبرص كانت دائماً المحطة التي تتوقف فيها الحملات الصليبية قبل أن تستكمل مسيرتها نحو الشام أو نحو مصر. وتحولت منذ أن استولى عليها ريتشارد قلب الأسد أحد قادة الحملة الصليبية الثالثة، إلى ملجأ لمقاتلي الصليبيين يلتجأون إليه كلما سقطت قاعدة من قواعدهم في الشام. و شيئاً فشيئاً أصبحت الجزيرة وكراً صليبياً تنطلق منه بين الحين والآخر سفنهم للاغارة على شواطئ المسلمين أو لقطع الطريق على سفن المسلمين التي تحمل تجارتهم. وقد حدث سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٥ م أن انطلقت من تلك الجزيرة أكثر من سبعين سفينة تحمل جنداً من البنديقة وجنوا (مدیستان ایطالیتان) ومن قبرص ذاتها، في حملة تستهدف الاغارة على مدينة الإسكندرية وتخربيها. وبعد أن رست تلك السفن أمام شواطئ الإسكندرية اقتحم الجنود الصليبيون المدينة وانطلقوا يقتلون ويدبحون ويروعون وراح ضحيتهم آلاف الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وحملوا معهم وهم عائدين حوالي خمسة آلاف أسير من الرجال العزل الذين لم يتمكنوا من الهرب.

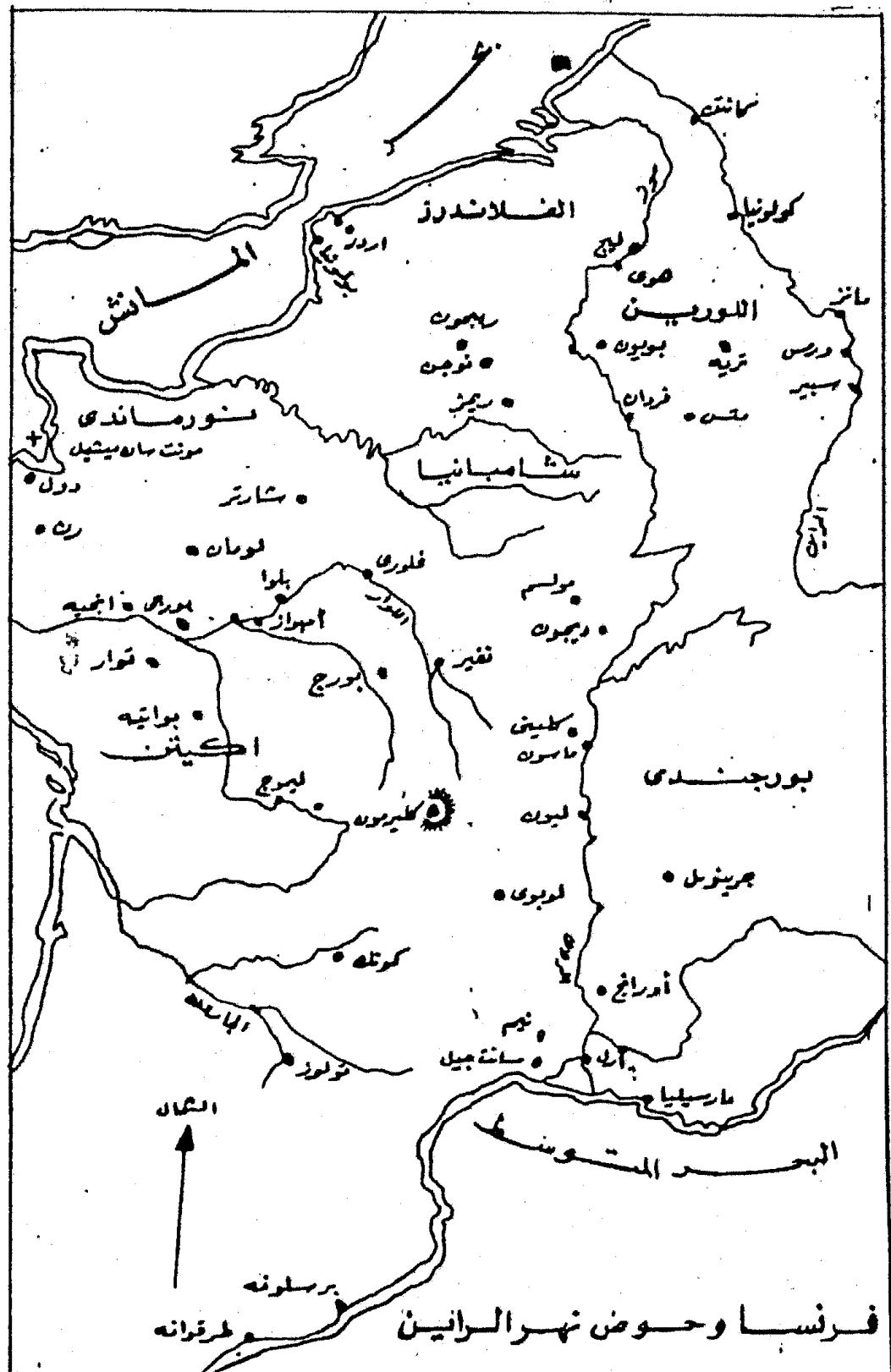
حدث هذا في وقت كان أمراء المماليك الذين يحكمون مصر والشام مشغولون بصراعهم على كرسي السلطة والحكم أكثر من انشغالهم بأمر العدو الذي ما زال يتربص بهم ويتحين الفرصة للاعتداء عليهم. ولعلهم كانوا في حاجة إلى هذا الدرس القاسي الذي نبههم إلى خطورة ذلك الوكر الصليبي: قبرص والتي ضرورة القضاء عليه. ولذلك وضع الملك الأشرف بارسبا - وهو آخر العظماء من سلاطين المماليك في دولتهم الثانية (دولة المماليك البرجية) على عاتقه تنفيذ تلك المهمة التي اعتبرها مقدسة، كما اعتبر صلاح الدين الأيوبي من قبله تحرير بيت المقدس مهمة مقدسة ونجح في «خطين» في إنجازها، لذلك قام الأشرف بارسبا ببناء عدد كبير من السفن وأعداد المقاتلين والبحارة واستعد لغزو جزيرة

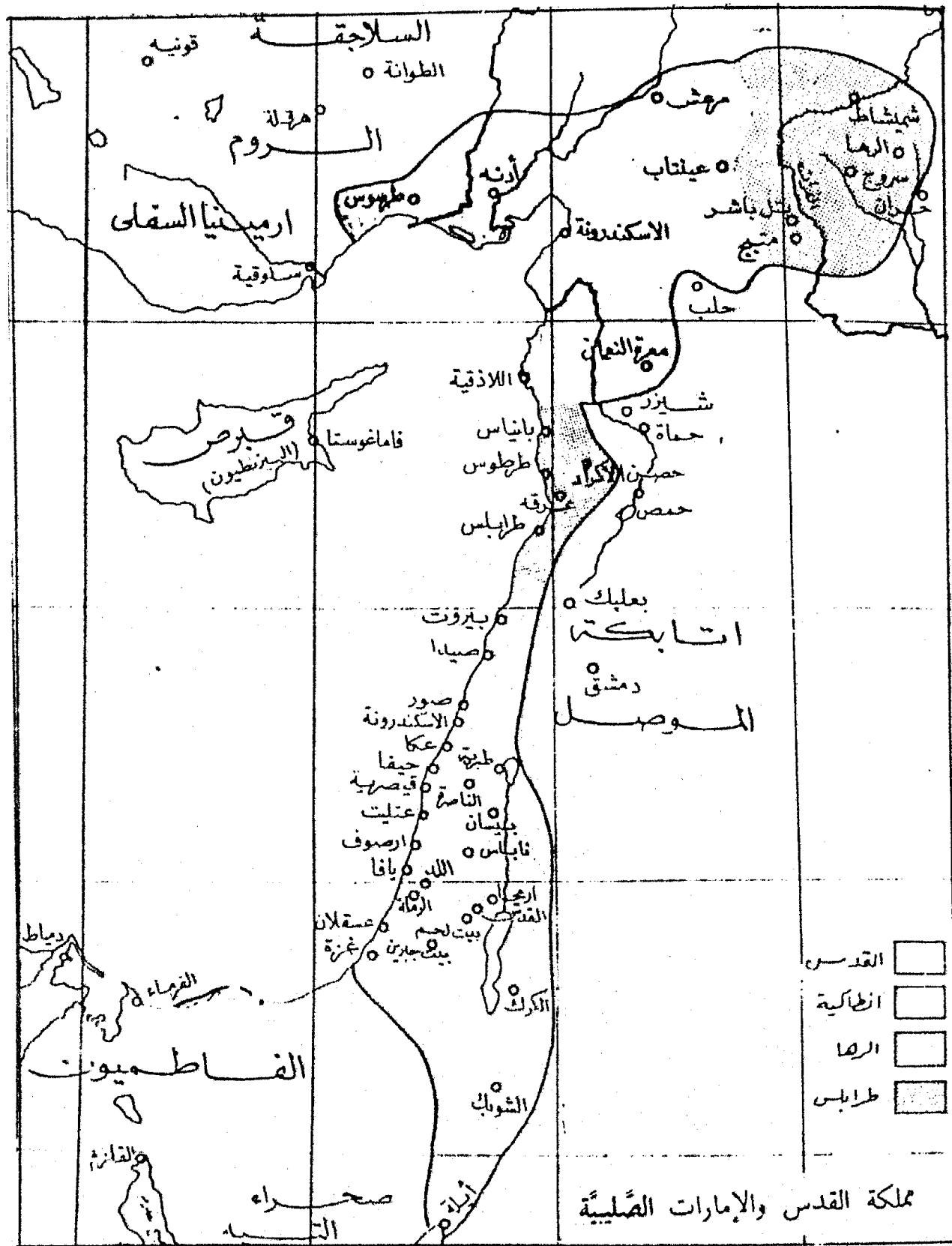
قبرص والاستيلاء عليها، وقد تم له ما أراد بعد ثلاث حملات: الأولى، وكانت قهيدية سنة ١٤٢٧هـ / ١٨٢٧م، أبحرت من دمياط وأغارت على الجزيرة واقتتحمت ميناءها «ليماسول» وخربته ونهبت ما فيه وأسرت كثيراً من سكانه واستكشفت أوكرار القراصنة على ساحل الجزيرة. أما الحملة الثانية فكانت سنة ١٤٢٨هـ / ١٨٢٨م، وكانت أكبر من الأولى حيث انضمت إليها في طرابلس - التي اتجهت إليها أولاً - كثير من السفن التي صنعت هناك لهذا الغرض، تمكنَت تلك الحملة من الاستيلاء على كثير من أراضي الجزيرة والقضاء على أسطولها البحري. ولكنها تراجعت وهي في طريقها إلى العاصمة نيقوسيا بعد أن علم قادتها بأن البندقية (في إيطاليا) قد أرسلت قوة بحرية كبيرة لمعاونة القبرصيين، فاكتفى بما أحرزه من انتصار وقرر العودة إلى مصر محملاً بالغنائم والأسرى. أما الحملة الثالثة والأخيرة والتي استولت على قبرص فكانت سنة ١٤٢٩هـ / ١٨٢٩م، وقد هيأ لها الأشرف بارسبي كل سبل ووسائل النصر، أبحرت السفن من الإسكندرية واتجهت رأساً إلى قبرص، وتمكنَت من دخول نيقوسيا والسيطرة عليها بعد هزيمة القوات المدافعة عنها وأسر ملكها «جانوس» الذي أُقتيد إلى الإسكندرية ضمن من أُقتيد من الأسرى، إلى أن افتدى نفسه بعاتي ألف دينار، وهكذا تم القضاء على ذلك الورك الصليبي.

وقد ظلت قبرصتابعة لسلطنة المماليك حتى استولى العثمانيون على مصر سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٧م. فانتقلت تبعيتها إليهم، وظلت تابعة لهم حتى تنازل العثمانيون عنها للإنجليز بمقتضى اتفاق مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م، وظل الإنجلiz يحتلونها حتى سلموها إلى اليونان بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩م. ونشأت منذ ذلك الحين ما سمي «مشكلة قبرص»، لأن الاتراك القبارصة المسلمين المقيمين بالجزيرة ثاروا على الحكم اليوناني بقيادة الزعيم التركي المجاهد رؤوف دنكشاش الذي نجح بمعاونة تركيا في الاستقلال بالجزء الشمالي من الجزيرة.. ومارالت تلك المشكلة قائمة حتى الآن وقابلة للتفجر في أي وقت.

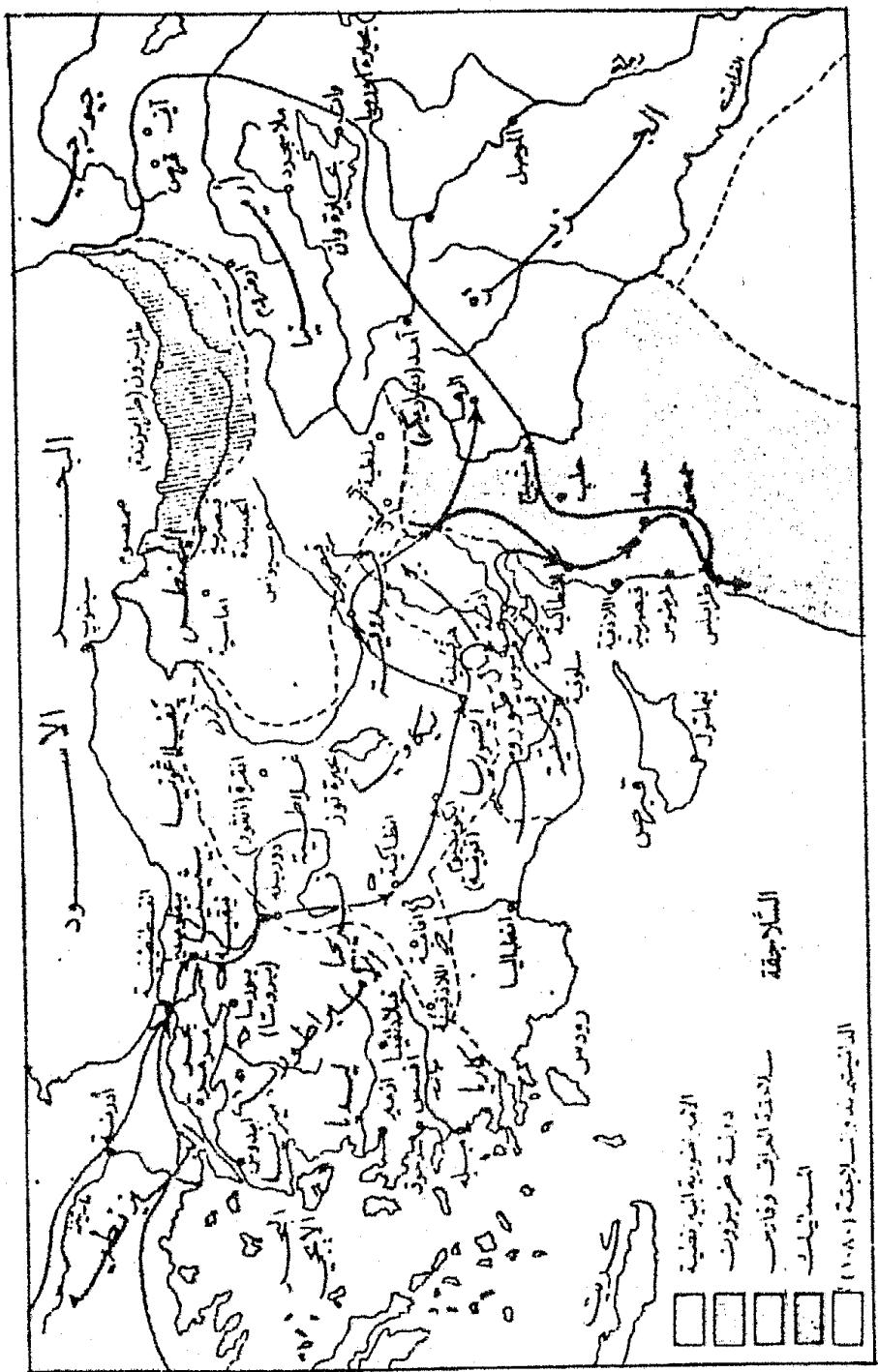
أما جزيرة رودس - أو الورك الثاني للصلبيين - التي أعلن السلطان بارسبي عن عزمه على الاستيلاء عليها بعد الاستيلاء على قبرص، ولم يعش حتى يحقق

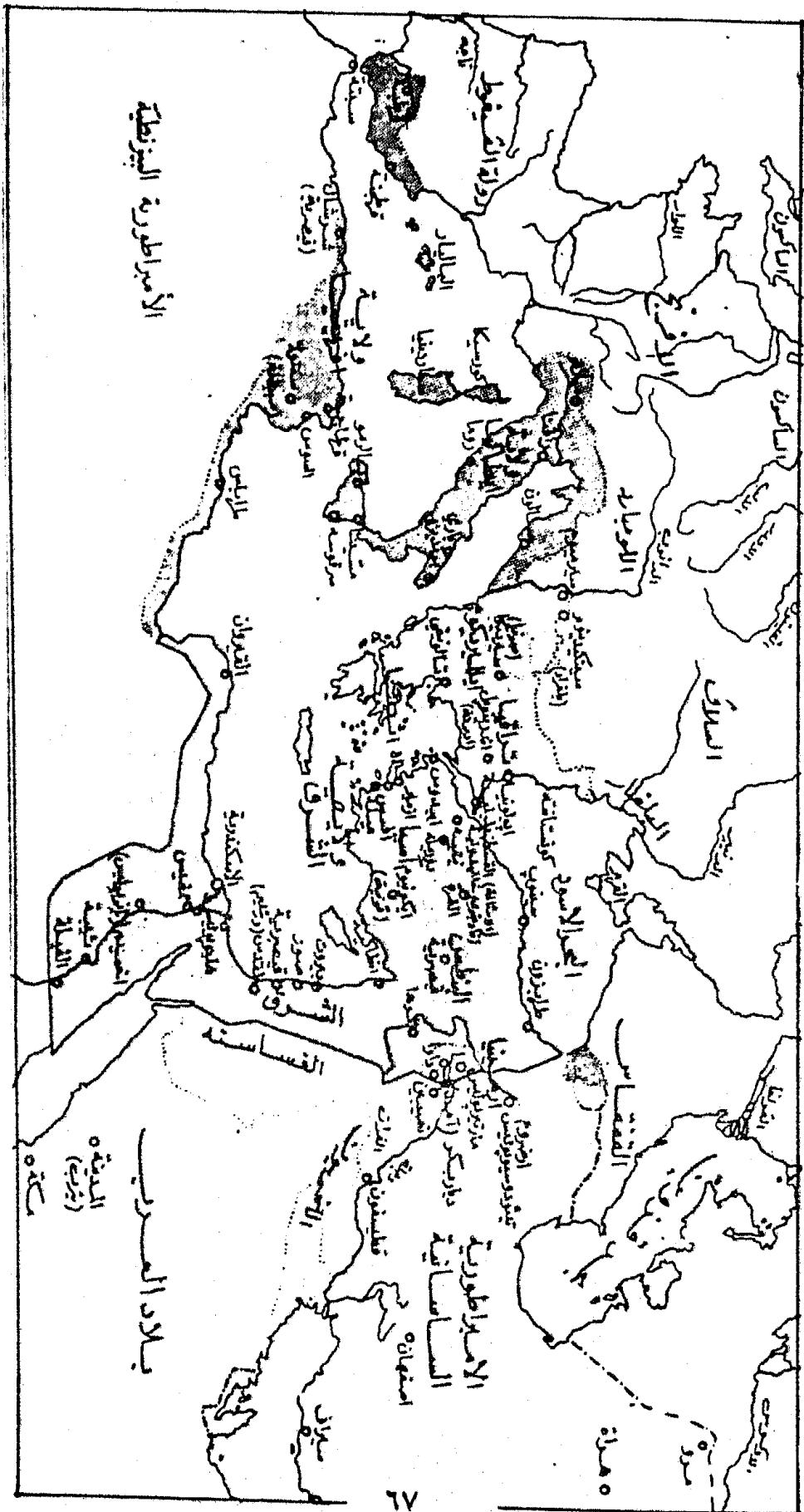
ما عزم عليه، فقد قام خليفة السلطان جقمق بتسخير ثلاث حملات للاستيلاء عليها: الأولى سنة ١٤٤٦هـ / ١٨٤٦م والثانية سنة ١٤٤٣هـ / ١٨٤٧م، والثالثة سنة ١٤٤٤هـ / ١٨٤٨م. ولم توقّع الحملات الثلاث في الاستيلاء على الجزيرة، وعقد صلح بين أهل رودس وسلطنة المماليك، إلى أن غزا الأتراك العثمانيون مصر ودخلت مصر بكل أملاكها ضمن الدولة العثمانية، وانتقلت مسئولية فتح رودس إلى الأتراك العثمانيين الذين حاولوا الاستيلاء عليها سنة ١٤٨٠هـ / ١٨٨٥م ولم يوفقا إلى أن تمكن سليمان القانوني سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م من الاستيلاء عليها، بعد أن تكبّد خسائر فارحة. وظلت الجزيرة تابعة لتركيا إلى أن غزاها الإيطاليون سنة ١٩١٢م واستولوا عليها، ثم أعطيت لليونان بمقتضى معاهدة الصلح التي أعقبت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٧م. وظلت تحكم حكماً عسكرياً محلياً حتى سنة ١٩٥٥م. وهي اليوم إحدى مقاطعات اليونان.





ملكة القدس والإمارات الصليبية





ملحق رقم (١)  
الفاطميون في مصر

سنوات الحكم

٩٧٥ - ٩٥٣	١- المعز لدين الله.
٩٩٦ - ٩٧٥	٢- العزيز بالله.
١٠٢١ - ٩٩٦	٣- الحاكم بأمر الله.
١٠٣٦ - ١٠٢١	٤- الظاهر.
١٠٩٤ - ١٠٣٦	٥- المستنصر بالله.
١١٠١ - ١٠٩٤	٦- المستعلى بالله.
١١٣٠ - ١١٠١	٧- الأمر بأحكام الله.
١١٤٩ - ١١٣٠	٨- الحافظ لدين الله.
١١٥٤ - ١١٤٩	٩- الظافر بأمر الله.
١١٦٠ - ١١٥٤	١٠- الفائز بنصر الله.
١١٧١ - ١١٦٠	١١- العاضد لدين الله.

## ملحق رقم (٢)

### الدولة الأيوبية

#### أولاً: الأيوبيون في مصر:

- ١١٧٤ - الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.
- ١١٩٣ - العزيز عثمان بن صلاح الدين.
- ١١٩٨ - المنصور محمد ابن عثمان.
- ١١٩٩ - العادل أحمد ابن أيوب.
- ١٢١٨ - الكامل محمد ابن أحمد.
- ١٢٢٨ - العادل محمد ابن محمد.
- ١٢٤٠ - الصالح نجم الدين أيوب بن محمد.
- ١٢٤٩ - المعظم توران شاه ابن نجم الدين.

#### ثانياً: الأيوبيون في دمشق:

- ١١٩٣ - الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين.
- ١١٩٦ - العادل أحمد ابن أيوب.
- ١٢١٨ - المعظم عيسى بن أحمد.
- ١٢٢٧ - الناصر داود ابن عيسى.
- ١٢٢٩ - الأشرف موسى ابن أحمد.
- ١٢٣٧ - الصالح إسماعيل ابن أحمد. (الفترة الأولى).
- ١٢٤٥ - ١٢٣٩ (الفترة الثانية). - الكامل محمد بن أحمد. (مصر والشام).
- ١٢٣٨ - العادل محمد ابن محمد.
- ١٢٣٩ - الصالح نجم الدين أيوب ابن محمد. الفترة الأولى (مصر والشام) (الفترة الثانية).
- ١٢٤٩ - ١٢٤٥ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٤٩ - المعظم توران شاه ابن نجم الدين (مصر والشام).

#### ثالثاً: الأيوبيون في حلب:

- ١١٨٣ - العادل أحمد ابن أيوب.
- ١١٨٦ - الظاهر غارى ابن صلاح الدين.
- ١٢١٦ - العزيز محمد ابن غارى.
- ١٢٦٠ - ١٢٣٦ - الناصر يوسف بن محمد.

#### رابعاً: الأيوبيون في حماة:

- ١١٧٨ - تقى الدين عمر ابن توران شاه بن أيوب.

- |             |                                      |
|-------------|--------------------------------------|
| ١١٩١        | المنصور أحمد ابن عمر.                |
| ١٢٢٠        | الناصر قلج أرسلان بن سليمان          |
| ١٢٢٩        | المظفر محمود ابن سليمان              |
| ١٢٤٤        | المنصور محمد ابن محمود.              |
| ١٢٨٤        | المظفر محمود ابن محمد.               |
|             | <b>خامساً: الأيوبيون في حمص</b>      |
| ١١٦٩        | المنصور شيركوه بن شاذى               |
| ١١٧٨        | القاهر محمد ابن شيركوه.              |
| ١١٨٦        | المجاهد شيركوه ابن محمد.             |
| ١٢٤٠        | المنصور إبراهيم ابن شيركوه ابن محمد. |
| ١٢٤٦ - ١٢٦٣ | الأشرف موسى ابن إبراهيم.             |

## ملحق رقم (٣)

### المماليك

أولاً: دولة المماليك البحريية:

#### شجرة الدر

- ١- أبيك (المعز عز الدين).
  - ٢- على بن أبيك (المنصور نور الدين).
  - ٣- قطر (المظفر سيف الدين).
  - ٤- بيبرس البندقدارى (الظاهر ركن الدين).
  - ٥- بركة خان (السعيد ناصر الدين).
  - ٦- سلامش (العادل بدر الدين).
  - ٧- قلاوون (المنصور سيف الدين).
  - ٨- خليل (الأشرف صلاح الدين).
  - ٩- محمد بن قلاوون (الناصر). الفترة الأولى.
- الفترة الثانية
- ١٠- كتبغا (العادل زين الدين).
  - ١١- لاجين (المنصور حسام الدين).
  - ١٢- بيبرس الجاشنكير (المظفر ركن الدين).
  - ١٣- أبو بكر ابن الناصر محمد. (المنصور سيف الدين).
  - ١٤- كرجل ابن الناصر محمد (الأشرف علاء الدين).
  - ١٥- أحمد ابن الناصر محمد. (الناصر شهاب الدين).
  - ١٦- إسماعيل ابن الناصر محمد (الصالح عماد الدين).
  - ١٧- شعبان ابن الناصر محمد (الكامل سيف الدين).
  - ١٨- حاجى ابن الناصر محمد (المظفر زين الدين).
  - ١٩- الحسن ابن الناصر محمد (الناصر) الفترة الأولى.
- الفترة الثانية.
- ٢٠- صالح ابن الناصر محمد (الصالح صلاح الدين).
  - ٢١- محمد بن حاجى (المنصور صلاح الدين).
  - ٢٢- شعبان. (الأشرف ناصر الدين).
  - ٢٣- على ابن شعبان. (المنصور علاء الدين).
  - ٢٤- حاجى. (الصالح صلاح الدين).
- ثانياً: دولة المماليك البرجية (أو الشراكسة):
- ٢٥- برقوق (الظاهر سيف الدين).

- ٢٦- فرج ابن برقوق (الناصر) الفترة الأولى.
- الفترة الثانية
- ٢٧- عبد العزيز ابن برقوق (المتصور).
- ٢٨- شيخ محمودي (المؤيد أبو النصر).
- ٢٩- أحمد ابن شيخ محمودي (المظفر).
- ٣٠- ططر (الظاهر).
- ٣١- محمد ابن ططر (الصالح).
- ٣٢- برسبائى (الأشرف سيف الدين).
- ٣٣- يوسف ابن برسبائى (العزيز جمال الدين).
- ٣٤- جقمق (الظاهر سيف الدين).
- ٣٥- عثمان بن جقمق (المتصور فخر الدين).
- ٣٦- اينال العلاني. (الأشرف سيف الدين).
- ٣٧- أحمد ابن اينال (المؤيد شهاب الدين).
- ٣٨- خشقدم (الظاهر سيف الدين).
- ٣٩- يلبائى المؤيدى (الظاهر سيف الدين).
- ٤٠- قربغا (الظاهر).
- ٤١- قايتباى (الأشرف سيف الدين).
- ٤٢- محمد ابن قايتباى (الناصر) الفترة الأولى
- الفترة الثانية
- ٤٣- قانصوه (الظاهر).
- ٤٤- قانصوه الأشرفى (الظاهر).
- ٤٥- جنبلاط (الأشرف).
- ٤٦- طرمان باى (العادل).
- ٤٧- طرمان باى (الأشرف).

## مراجع الكتاب

- |  |   |
|--|---|
| ابن الأثير   | (١) الكامل في التاريخ.  |
| ابن شداد.  | (٢) سيرة صلاح الدين.  |
| د. حسين مؤنس.  | (٣) اطلس تاريخ الإسلام.   |
| د. علي عبد الفتاح.   | (٤) الحروب الصليبية.  |
| يوهان هوينجها.   | (٥) أضمحلال العصور الوسطى.  |
| نورمان ف. كاتنور.  | (٦) التاريخ الوسيط.   |
| هـ. جـ. . ويلز   | (٧) معالم تاريخ الإنسانية.  |
| جوناثان ديلى سميث  | (٨) الحملة الصليبية الأولى.   |
| د. أحمد شلبي   | (٩) الهجمات الصليبية الغربية على العالم الإسلامي                                      |
| د. قاسم عبدة قاسم  | (١٠) ماهية الحروب الصليبية.   |
| ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط «صليبية الأطفال»، عبدالفتى محمود عبدالعاطى زابوروف | (١١) ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط «صليبية الأطفال»، عبدالفتى محمود عبدالعاطى زابوروف |
| كاوتسكي  | (١٢) الصليبيون في الشرق.  |
|  | (١٣) تاريخ الأقطار العربية.   |
|  | (١٤) تاريخ ابن خلدون.   |
| ابن تغري بردي  | (١٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.   |
| ابن لياس   | (١٦) بدائع الدهور في وقائع الدهور.  |
| المقرئي زوى  | (١٧) السلوك في معرفة دول الملوك.  |

# الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	- مقدمة .....
٧	- الفصل الأول: نظرة شاملة على حال العالم قبيل الحروب الصليبية .....
٩	(١) الغرب الأوروبي .....
١٤	(٢) الامبراطورية البيزنطية .....
١٥	(٣) الدولة السلجوقية .....
١٦	(٤) المشرق العربي .....
١٩	- الفصل الثاني: الحروب الصليبية .....
٢١	(١) الحملة الصليبية الأولى .....
٣٢	(٢) الحملة الصليبية الثانية .....
٣٩	(٣) الحملة الصليبية الثالثة .....
٤٢	(٤) الحملة الصليبية الرابعة .....
٤٤	(٥) حملة الأطفال الصليبية .....
٤٥	(٦) الحملة الصليبية الخامسة .....
٤٨	(٧) الحملة الصليبية السادسة .....
٥١	(٨) الحملة الصليبية السابعة .....
٥٢	(٩) الحملة الصليبية الثامنة .....
٥٤	(١٠) حملة لويس التاسع على تونس .....
٥٥	- الفصل الثالث: تصفية الوجود الصليبي في الشام والمشرق العربي .....
٥٩	- الفصل الرابع: تصفية الوجود الصليبي في جزائر شرق البحر المتوسط .....
٦٤	- خرائط .....
٦٨	- ملحق .....
٧٤	الفهرس .....







مكتبة الريان  
النصرفي. أمم جامعة النيل  
٢٥٢٨٨٢ :

**To: www.al-mostafa.com**